

روايات عالمية للجيب 61

Looloo

www.dvd4arab.com

محامي الشوارع

تأليف : جون جريشام
ترجمة وإعداد : د. أحمد خالد توفيق

المؤلف



للتقينا (جون جريشام Grisham) مرتين من قبل هنا .. مرة مع تحفته (صانع الأمطار) ومرة مع (العيل) ، وتعد القصة من أكثر ما نشر في هذه السلسلة فوزاً بإعجاب القارئ واستحسانه .. نذكر القارئ أن (جريشام) أديب أمريكي مال للتخصص في عالم المحاماة

والقضايا ، وهو بهذا يحذو حذو أديب شهير آخر هو (إيرل ستانلي جاردنر) صاحب (بيرى ماسون) ..

ولد جريشام في أركنساس عام ١٩٥٥ لأب مزارع قطن ، وقد استقرت أسرته جوار المسيسيبي عام ١٩٦٧ .. في هذا الوقت تقريباً بدأ الشاب يقرأ بنهم ، خاصة أعمال أديب أمريكا العظيم (شتاينبيك Steinbeck) ، وإن لم يطمح للأدب قط ، فقد كان يعتقد أنه خلق ليكون لاعب

بيزبول عظيمًا .. ذلك الطموح الذى تخلى عنه فى مباراة عنيفة جعلته يدرك قدراته بالضبط . درس المحاسبة وتخرج عام ١٩٧٧ . التحق بمدرسة القانون عام ١٩٨١ حيث عمل بالمحاماة لفترة .

اضطر ذات مرة لسماع طفلة صغيرة تحكى فى المحكمة قصة اعتداء تعرضت له .. هنا خطر له أن يتخيل الوضع القانونى لو أن الفتاة كانت زنجية ، ولو أن الاعتداء تم على يد مجموعة من البلطجية البيض المتعصبين ذوى الأعناق الحمر Red necks .. هنا يلعب التعصب العرقى دورًا لا بأس به ؛ لأن فرصة نجاة المجرم الأبيض عالية إذا كان المحلفون بيضًا ، وهذا ما يدفع أبا الطفلة لتنفيذ العدالة بيده .. هكذا ولدت قصة (وقت للقتل) عام ١٩٨٧ ، والتى لم تلق اهتمامًا يذكر ، فلم يبيع منها إلا ألف نسخة ..

لكنه بعدما قدمها للنشر الوحيد الذى قبلها ، بدأ قصة ثانية اسمها (الشركة) . وقد قفزت هذه القصة المثيرة إلى الصف الأول فى أعلى المبيعات ، وعام ١٩٩١ لشترتها منه إحدى شركات الإنتاج السينمائى بستمئة ألف دولار .

(الشركة) تحكى عن محام شاب يتعلم الدرس بالطريقة الصعبة : لا أحد يقدم شيئًا مجانيًا ، وكل هذه المزاي التى تمنحها إياه شركة المحاماة الكبرى تضعه فى ورطة مخيفة بين الـ FBI والمافيا الغاضبة .. برغم أن الفيلم الذى قدمه (توم كروز) نجح جدًا فإن الرواية سبقته فى هذا النجاح ، وبالتالى راجت رواية (وقت للقتل) وراها النقاد للمرة الأولى ..

بدأ جريشام يقدم عملاً واحدًا تقريبًا كل عام ، وتبدت فى أعماله ثقافته القانونية مع فهمه للجنوب الأمريكى وعالم المسيسيبي الذى قدم لنا من قبل أدبيًا عظيمًا هو (مارك توين) ..

قدم بعد هذا (العميل) و (الغرفة) و (المحلف الهارب) و (صانع الأمطار) و (الشريك) و (محامى الشوارع) و (ملف البجعة) و (الشهادة) و (مقاعد الشمس) .. القصة الأخيرة تنتمى لعالم البيزبول الذى لم ينسه قط . ويذكر القارئ أننا قدمنا فى هذه السلسلة قصتى (صانع الأمطار) و (العميل) .

هناك نيمة محببة لـ (جريشام) هي البطل الفرد الوحيد الضعيف الذى يواجه كياناً ضخماً مرعباً .. المافيا أو شركات المحاماة العملاقة أو شركات التسامين أو الاستخبارات المركزية .. حجم رواياته ضخم مما يروق للقارئ الأمريكى الذى لا ينظر بجدية لرواية صغيرة الحجم ..

نال جريشام لقب (أفضل الكتاب مبيعاً فى التسعينيات) ، وكل عنوان جديد له هو فيلم جاهز للتصوير ، ويعتبر حالياً أكثر الكتاب شعبية لدى قارئ الإنجليزية بعد (ستيفن كنج) ..

يعيش جريشام فى أكثر من بيت جوار المسييسى وفى أكسفورد وفرجينيا ، ولديه ابنان .. امتلأ قلبه بآله يتحلى الجنس والعنف والبذاءات ، وهو لم يخف للحظة صدمته من كل هذه الأشياء التى يقحمها كتاب السيناريو على قصصه ..

د . أحمد خالد

واحد

دخل الرجل ذو الحذاء المطاطى طويل العنق المصعد خلفى ، لكنى لم أره فى البداية .. برغم هذا شممت رائحة التبغ والخمر الرخيصة والحياة فى الشارع بلا صابون . كنا وحيدين بينما المصعد يصعد لأعلى ، وإذا نظرت لأسفل رأيت الحذاءين .. أسودين كبيرين متسخين .. معطف مطر يتدلى حتى ركبتيه ، وتحت طبقات من ثياب متسخة جعلته يبدو أقرب للبدانة . لكنها ليست بدانة فرط التغذية ، ففي شتاء واشنطن يلبس الناس الذين لا بيت لهم كل ما يملكون .

كان أسود متقدماً فى العمر ، وقد شاب نصف شعره ولحيته فهو لم يقصهما أو يغسلهما منذ أعوام . كان يتجاهلنى وهو ينظر أمامه عبر نظارة شمس سميكة حتى تساءلت عن سبب اهتمامى به .

لم يكن ينتمى هنا . ليست هذه بنايته ولا مصعده .. كل المحامين فى الطوابق الثمانية فى شركتى هذه يعملون

بالساعة ويتقاضون أجوراً ما زلت أراها فلاحاً بعد سبعة أعوام . مجرد متسكع جاء من البرد .. هذا يحدث طيلة الوقت فى وسط واشنطن ..

فى الطابق السادس توقفنا ، للمرة الأولى لاحظت أنه لم يطلب رقم أى طابق .. لقد كان يقتفى أثرى .. خرجت مسرعاً فما إن مشيت عبر البهو الرخامى الفاخر لشركة (دريك وسوينى) حتى اختلست نظرة للخلف لأراه ما زال فى المصعد لا ينظر لى .

حينئذى مدام (ديفيه) موظفة الاستقبال بطريقتها الموحية بالازدراء ، فقلت لها :

- « راقبى المصعد .. »

- « لمة ؟ »

- « متسكع .. ربما وجب أن تطلبى الأمن وربما بعض المطهرات .. »

وابتعدت واضعاً معطفى على كتفى ، ونسيت الرجل ذا الحذاء المطاطى .. لدى مقابلات لا تنتهى طيلة العصر ،

وكنت على وشك أن أقول شيئاً لـ (بولى) سكرتيرتى عندما سمعت الطلقة الأولى .

كأنت مدام (ديفيه) تقف خلف مكتبها متصلة تحديق فى ماسورة طويلة لمسدس يحمله صديقنا متسكع الشارع . كنت أول من ندنا منها لذا صوب المسدس بلياقة نحوى فتصلبت بدورى .

كنت قد رأيت ما يكفى من أفلام لأعرف ما يجب عمله ؛ لذا قلت وأنا أرفع يدي :

- « لا تطلق النار .. »

غمغم فى هدوء :

- « اخرس .. »

فجأة صرخ أحدهم من خلفي :

- « إن معه مسدساً ! »

ثم تلاشت الأصوات فى الخلفية .. وإن جرى رفاقى للأبواب الخلفية كاد بعضهم يثب من النوافذ . عن

يسارى يوجد باب خشبى عملاق يقود لقاعة اجتماعات فيها الآن ثمانية محامين من قسم التقاضى .. ثمانية محامين لا يخافون شيئاً .. كان أكثرهم صلابة طوربيداً عدوانياً اسمه (رافتر) ، ما إن فتح الباب صالحاً :

- « ماذا بحق الجحيم ؟ »

حتى اتجهت ماسورة المسدس نحوه .. صاح (رافتر) :

- « دع هذا المسدس .. »

خلال جزء من الثانية انطلقت طلقة أخرى تخترق السقف فوق رأس (رافتر) فجعلته يدرك أنه فان .. أشار لى الرجل فدخلت قاعة الاجتماعات ، وكانت مدام (ديفييه) ترتجف وقد مزقها الرعب .

أغلق المتسكع الباب خلفى ورفع المسدس فى الهواء كى يتمكن كل المحامين من إيداء إعجابهم به .. كتبت راحة البارود أقوى من رائحة حامل المسدس ..

قال الرجل وهو يستعمل مسدسه كحجة إقناع قوية :

- « قفوا أمام الجدار .. »

ثم وضعه جوار رأسى ، وقال :

- « أغلق الأبواب .. »

وكذا فعلت ..

لم تبدر كلمة عن ثمانية المحامين ، ولم تبدر كلمة منى ولما نفذ الأمر ثم التفت له .. لسبب ما تذكرت جرائم إطلاق الرصاص فى مكتب البريد ، عندما يعود موظف فى ساعة الغداء ليطلق الرصاص على خمسة عشر من زملائه .. تذكرت المذابح فى مطاعم الوجبات السريعة .. كل من ماتوا فى هذه الحوادث كانوا أطفالاً أو مواطنين صالحين .. بينما نحن حفنة من المحامين !

بإشارات من مسدسه أوقف المحامين جوار الحائط ثم التفت لى .. ماذا يريد ؟ لم أر عينيه بسبب نظارات الشمس لكنه كان يرى عينى .. نزع معطفه وبغضائية وضعه على المنضدة .. ثم نزع الطبقة الثانية .. سترة صوفية خضراء سميقة .. سميقة لسبب واضح هو أن

هناك حول خصره حزمة من عصي حمر .. وأدركت عيني غير المدربة أن هذا ديناميت ..

هناك أسلاك تجرى كالسباجيتى الملونة من وإلى أصابع الديناميت ، بينما قام شريط (شكرتون) فضى بتثبيت كل شيء ..

- « أرجوكم الهدوء .. »

قالها بلهجة الأستاذ الصبور .. وقد جعلنى هدوءه أفقد أعصابى .. مد يده فى جيبه فأخرج مطواة وحزمة حبال .. ثم نظر للوجوه المذعورة ، وقال :

- « لا أريد أن أؤذى أحداً .. »

كان من الجميل أن تسمع هذا لكن من العسير أن تأخذه بجدية .. هنا عاد المهندس لى .

- « أنت .. اربطهم .. »

كان (رافتر) قد اكتفى .. تقدم نحو الرجل وقال :

- « اسمع يا صاحبي . ماذا تريد بالضبط ؟ »

انطلقت الرصاصة الثالثة فوق رأسه .. بدت كطلقة مدفع وفى مكان ما من البهو صرخت إحداهن ..

قال المتسكع :

- « لا تلذنى بـ (صاحبي) .. »

وعلى الفور تم استبعاد لفظة (صاحبي) من القاموس .. وسألته شاعراً بأننى صرت تقريباً زعيم الرهائن :

- « هم أناديك ؟ »

- « نلذنى بـ (مستر) .. »

وناسب الجميع هذا اللقب .. هنا دق جرس الهاتف فرفع السماعه بيده اليسرى بينما اليمنى تصوب المسدس نحو (رافتر) . لو أن لنا حق الانتخاب لاخترنا (رافتر) ليكون كبش الفداء الأول ..

قال (مستر) (*) :

(*) هذه سخرية طبعاً .. لقد افترض أن اسم الرجل هو (مستر) لأنه لا يعرف اسماً آخر .

- « نعم .. »

ثم وضع السماعة وناولنى الحبل وأمرنى بأن أحكم قيدهم . بحيث ترتبط معاصمهم .. فعلت ذلك وأنا أحاول جهدى ألا أنظر لوجوه زملائى الذين أقودهم إلى نهايتهم .. حاولت أن أبقي القيد مرخياً قدر الإمكان ..

كان (مالامود) يتنفس بصعوبة ، ويعرق بغزارة ، فقد كان أكبرنا سناً وقد مر عامان منذ نوبته القلبية الأولى .. نظرت لـ (نوتسو) صديقى الوحيد الحقيقى فى هذه المجموعة .. كان من نفس سنى 32 عاماً وزوجتانا من (بروفى دنس) .. زواجه ناجح بينما زواجى يوشك على الانتهاء .. تلاقت عيناتنا وفكر كل منا فى أطفاله .. كنت سعيد الحظ لأننى لم أنجب ..

دوت السريئة الأولى فطلب منى (مستر) أن أسدل الستائر على النوافذ .. نظرت لساحة الانتظار فرأيت سيارة شرطة خالية فتحت أبوابها ، فلابد أن شرطيتها فى البناية فعلاً ..

* * *

حسب آخر إحصاء ، لابد أن شركة (تريك وسوينى) لديها ٨٠٠ محام حول العالم ، ونصفهم فى واشنطن فى البناية التى يهددها (مستر) ..

طلب منى أن أتصل بالرئيس وأخبره أن الرجل مسلح ويحمل دسنة من أصابع الديناميت . اتصلت بـ (رولف) مدير قسمى ونقلت له الرسالة وأضفت :

- « لرجو أن تنفذ ما يطلبه .. »

- « وما الذى يطلبه ؟ »

- « لا أعرف .. »

هنا لوح (مستر) بالمسدس لتنتهى المحادثة . ثم راح يعبث بسلك أحمر من الأسلاك المحيطة بخصره :

- « هذا السلك الأحمر .. يكفى أن أجذبه وينتهى كل

شئ .. »

سألته :

- « لم تفعل ذلك ؟ »

- « لا أريد .. لكن لم لا أقطعه ؟ »

دهشت من طريقة أدائه الرتيبة المنهجية .. كل مقطع يحظى بنفس المعاملة .. إنه حالياً متسكع لكن لابد أنه رأى أياماً أفضل .

كانت الواحدة والثلاث فأنما محام أعيش بالساعة ومرت فترة صمت محطة للأعصاب مدتها أربع عشرة دقيقة .. لم أصدق أننا سنموت . لا يبدو لى أن هناك دافعاً أو سبباً لقتلنا .. أعرف يقيناً أن أحداً لم يلقه من قبل .. هذه بالضبط هى المنبحة التى ستستولى على اهتمام الإعلام فى الفترة القادمة ، ثم يبدأ البعض فى تأليف نكت المحامى الميت .. كان بوسعى أن أرى عناوين الصحف ، لكنى عجزت عن تصديق أن هذا سيحدث فعلاً .

فجأة سألنى (مستر) :

- « ماذا تناولت فى الغداء ؟ »

- « تناولت نجاجاً مشوياً .. »

- « وحدك ؟ »

- « كلا .. كان معى صديق .. »

- « وكم كلفتكما هذه الوجبة ؟ »

- « ثلاثون دولاراً .. »

لم يحب هذا .. هز رأسه ، وقال :

- « ثلاثون دولاراً ؟ لفردين ؟ »

ثم نظر إلى المحامين الثمانيين ، ودعوت الله أن يكذبوا لو أنه سألهم .. هناك (كروش) ممتازة فى هذه المجموعة ، وثلاثون دولاراً لا تكفيهم فاتحاً للشهية ..

- « هل تعرف ما أكلته أنا ؟ »

- « لا .. »

- « أكلت حساء ومقرمشات فى أحد الملاهى .. حساء

مجانى سرنى أن ظفرت به .. يمكنك أن تطعم مائة من

أمثالى بثلاثين دولاراً .. هل تعرف هذا ؟ »

هزرت رأسى فى جدية كائى تبينت فجأة حجم
خطيئتى ..

لوح بمسدسه ، وقال :

- « اجمع كل المحافظ والساعات والمجوهرات .. »

- « هل لى أن أسأل لماذا ؟ »

- « لا .. »

هكذا وضعت حافظتى وساعتى على المنضدة ثم رحت
أفتش فى جيوب رفاقى .. طلب منى أن أتصل برئيسى ثلثية
فرد (رودلف) فوراً .. يمكننى أن أتخيل قائد (السوات)
يقف فى مكتبه الآن ..

كان الرجل يريد أن أحمل حقيبة سوداء كبيرة لأضعها
خارج القاعة ثم أعود وأغلق الباب خلفى ، وهذا ما طلبته
من (رودلف) .. ونفذت ما قاله ثم عدت له .. سألتنى من
جديد :

- « كم من المال كسبت العام الماضى ؟ »

قلت فى لرتباك :

- « انتظر .. دعنى أتذكر .. »

- « لا تكذب ! »

- « مائة وعشرون ألفاً ... »

بدا أن هذا لم يرق له بدوره ، فعاد يسأل :

- « وكم أنفقت منه على أعمال الخير ؟ »

- « آه .. دعنى أتذكر .. زوجتى تتولى شئون الإنفاق
والفواتير .. »

- « ومن يدفع ضريبة الدخل الخاصة بكم ؟ »

- « هذا تتولاه إدارة الضرائب الخاصة بنا . »

- « هل هى فى هذه البناية ؟ »

- « نعم .. »

- « إذن أوصلنى بهم .. أريد سجل الضرائب لكل

شخص هنا .. »

نظرت لوجوههم ، ورأيت فى وجه اثنين منهما يوشكان
على قول : هلم أطلق الرصاص علينا فهذا أفضل ..

لا بد أننى ترددت لأن (مستر) صوب المسدس على
رأسى ، وصاح :

- « افعل ذلك الآن ! »

تصلت بـ (رولف) الذى بدا متردداً ، حتى صرخت فيه :

- « افعل ذلك الآن ...!.. أرسلها لى بالفاكس .. ضرائب
آخر عام لحسب .. »

ورحنا نراقب آلة الفاكس فى الركن بانتظار الأرقام ،
خائفين أن يقتلنا (مستر) لو تأخر وصول نموذج
١٠٤٠ الخاص بالضرائب ..

اثنان

بما أن (مستر) قد قام بتعيينى ككاتب حسابات
للمجموعة ، جلست حيث أشار لى بالمسدس وأمسكت
بالفاكس .. كان رفاقى قد وقفوا مدة ساعتين وظهرهم
للجدار الآن وقد بدا عليهم الإرهاق والتعب ..

سألنى (مستر) :

- « أنت أولاً .. ما اسمك ؟ »

أجبت فى أدب :

- « مايكل بروك .. »

- « كم من المال كسبت العام الماضى ؟ »

- « قلت لك .. مائة وعشرون ألفاً قبل الضرائب .. »

- « وكم أنفقت منه على أعمال الخير ؟ »

كنت وثقاً من قدرتى على الكذب .. لست محاسب
ضرائب لكن بوسعى خداعه .. زوجتى (كلير) حصلت
على ٣١ ألف دولار كطبيبة جراحة مقيمة ؛ لذا بدا دخلنا

الكلى عاليًا .. وبعد دفع الضرائب ومصاريف دراسة (كثير)
وليجار الشقة الجميلة فى (جورجتلون) 2400 دولار فى
الشهر استثمرنا ٢١ ألف دولار فى حساب مشترك ..

كان (مستر) ينتظر فى صبر .. وكنت أتخيل رجال
(السوات) يزحفون هنا وهناك ويتسلقون الأشجار ، ويفعلون
كل الأمور التى نراها فى السينما .. ومهمتهم وضع رصاصة
فى جمجمته وبرغم هذا لا يبدو أنه مهتم لأى شيء ..
لقد تأهب للموت واستسلم لقدره .. وهذا لا ينطبق علينا ..

قلت له :

- « تبرعت بألف دولار لجامعة (بيل) وألفين لهينة
(الطريق المتحد) المحلية .. »

- « كم دفعت للفقراء ؟ »

- « (الطريق المتحد) تتخذ ما تراه مناسبًا لأعمال
الخير .. ودفعت ٢٥ ألف دولار كضرائب .. بالطبع أكثر
هذا المبلغ يذهب للخدمات الطبية والأطفال معدومي
الأهلية »

- « وهل فعلت هذا عن طيب خاطر ؟ »

- « لم أشك .. »

طبعًا كنت أكذب ..

- « هل شعرت بالجوع من قبل ؟ »

كان يحب الإجابات البسيطة ولم يرزقنى الله برد هليغ ،
لذا قلت :

- « لا .. »

- « هل نمت فى الجنيذ ؟ أنت تكسب الكثير لكن
جشعك يمنعك من أن تعطينى بعض الفكة فى الشارع »

ولوح بالمسدس فى الآخرين :

- « أنتم جميعًا .. تتجاهلوننى وأنا أتسول .. تنفقون
على قهوتكم أكثر مما أنفقه على طعامى . »

نظرت إلى هؤلاء الأوغاد فلم يكن منظرهم محببًا ..
أكثرهم ينظر لقدميه . وتخيلت ما يدبره (السوات) الآن
فى الخارج . لقد نزع (مستر) وصلات الهاتف ..
لا يريد الكلام مع أحد ولا المفاوضة .. إن جمهوره الوحيد
هنا فى هذه للقاعة ..

- « من من هؤلاء يكسب أكثر ؟ »

قلبت الأوراق حتى وجدت أوراق (مالامود) .. كانت المرة الأولى التى يتاح لى فيها إبراك الحجم الحقيقى لنجاح هذا الزميل ، لكنى لم أجد فى ذلك سعادة .. كان يكسب خمسين ألف دولار فى الشهر من الشركة ، ومكافأته الثابتية التى نحلم بها جميعا خمسمائة ألف ..

- « كم من هذا المال أعطيت الفقراء والجياع ؟ »

قال (مالامود) :

- « لا أذكر .. لكنى وزوجتى منحنا الكثير للفقراء ونحن سعدان بهذا . »

طلب منى (مستر) أن أدون كشفا باسم كل واحد وجواره ما حصل عليه وكم أعطى الفقراء .. استغرق هذا وقتا لا بأس به ، ولكنى قدرت أنه من الخير لى ألا أتعب ..

لم يهدد بقتل رهينة كل ساعة ، ولم يطلب إطلاق رفاقه من السجن .. لا يريد أى شىء فى الواقع ..

ضايقتنى أن زميلى (بارى نوتسو) يكسب أحد عشر ألفا أكثر منى .. سوف تناقش هذا فيما بعد ..

- « المجموع حوالى ثلاثة ملايين .. الإنفاق العام ١٢٠ ألفا .. »

قال فى غيظ :

- « لا أريد معرفة الإنفاق العام .. المال الذى تتفقونه أنتم الأثرياء البيض على الأوركسترا والمحافل اليهودية والأندية .. أريد معرفة كم أنفقتم على الطعام للجياع .. فى هذه المدينة بينما تحققون الملايين بنام أطفال جياع يصرخون ويكون من السغب .. كم صرفتم عليهم ؟ »

- « ليس بشكل مباشر .. إن .. »

- « لخرس ! وماذا عن الملاجن ؟ وماذا عن العيادات الشعبية التى يأتى لها الأطباء ليعالجوا الفقراء مجانا ؟ »

نظر لى (رافتر) كأنما بوسعى عمل شىء .. ربما أنظر للأوراق ثم أصبح :

- « اللعنة ! انظر ! لقد تبرعنا بنصف مليون دولار للعيادات الشعبية وحساء الفقراء ! »

لكن ليس أنا .. إن (مستر) أذكى مما يبدو ، وأنا لا أرغب فى أن أموت رميا بالرصاص ..

مشى نحو النافذة ونظر إلى الخارج ، ثم قال بلا مبالاة :

- « شرطة فى كل مكان ، وسيارات إسعاف .. »

ثم نسي هذا كله وعاد لنا ليوجه مسدسه نحو
(كولبيرن) ويسأله :

- « كم أنفقت على العيادات ؟ »

- « لا شيء .. »

قالها وأغضض عينيه متأهبا للبكاء . لكن (مستر) ثم
يطلق عليه الرصاص بل وجه المسدس نحو (نوزو)
وسأله ذات السؤال .. مر على الواقفين واحدا تلو الآخر
مكرراً ذات السؤال لكنه لم يطلق الرصاص على (رافتر)
كما تمنينا ..

- « ثلاثة ملايين ولا شيء للفقراء .. أنتم أناس
تصحاء .. »

عند العصر قال إنه جاع .. أمرنى أن أتصل برئيسى
وأطلب حساء من إرسالية الميثودست . فهم يضعون
فى الحساء خضراوات أكثر ، والخبز ليس تألفا كباقى
المطاعم ..

تساعل (رولف) عبر مكبر الصوت :

- « هل المطاعم المجانية تقوم بتوصيل الطلبات ؟ »
- « فقط أفل هذا يا (رولف) .. هات ما يكفى
لعشيرة .. »

وتخيلت المحامين المتأنقين محاطين بالشرطة يدخلون
مطعم الإرسالية وسط الفقراء المنكبين على سلطانيات
الحساء .. عشيرة طلبات .. خبز زيادة ..

سمعا صوت الهيكوبتر من جديد . ما نوع الاقتحام
الذى يخططون له والذى يتضمن هيكوبتر ؟ ربما هى هنا
لإخلاء الجرحى ..

ظل (أمستيد) يتنوى لفترة ثم صاح :

- « معذرة يا مستر .. لكن لابد لى من أن .. من أن
أذهب للتواليت »

- « تواليت ؟ ما هو التواليت ؟ »

- « أريد أن أتبول يا سيدى . لا أستطيع البقاء
أكثر .. »

نظر (مستر) حوله حتى وجد مزهرية من الخزف فى
ركن الغرفة ، فأمرنى بأن أفك قيد (أمستيد) ثم نزع
الأرهار منها ، وقال :

« للثوالبيت هناك .. »

هكذا أدار (أمستيد) ظهره لنا وتبول بينما نحن ننظر فى الأرض .. ثم أمرنى (مستر) أن أحمل المنضدة أنا و (أمستيد) لنضعها جوار النافذة وأمر المحامين بالجلوس القرفصاء عليها .. لم أعرف السبب .. لكنى قدرت أنه يريد أن يصنعوا بأجسادهم ستاراً ضد القناصة .. اعتقد أنه رأى بعضهم على سطح البناية المقبلة وهذا ما عرفته فيما بعد ..

لابد أن الحياة فى الشارع تعلم الصبر ، لأنه اكتفى بالجلوس والتحديث فيما من خلف عويناته السود ..

فجأة قال :

« أنتم لا تتجاهلون الفقراء فقط .. بل تساعدون فى طردهم من بيوتهم وإلقائهم فى الشوارع »

هزنا رأسنا موافقين .. يمكنه أن يتهمنا بأى شيء يشتهي ..

جاء الطعام أخيراً فدق الباب .. قال لى (مستر) أن أنذر الشرطة أنه سيقول واحداً منا لو رأى أى شخص خارج الغرفة ، وقد شرحت هذا لـ (رودلف) ..

ثم إن (مستر) أمر (أمستيد) بأن يفتح الباب ببطء ..

انفتح الباب ورأيت الطعام على عربة صغيرة .. رأيت أربعة أوعية كبيرة من الحساء وكيساً مليئاً بالخبز .. تساءلنا عما إذا كان هناك شيء يشرب ، لكننا لم نعرف الإجابة قط .

لقد دوت طلقة فى الهواء ..

كان قناص شرطة يتوارى خلف خوان جوار مكتب مدام (دفييه) وقد ظفر بمجال التصويب الواضح الذى أراده .. حينما اتحنى (أمستيد) لياخذ الحساء ظهر رأس (مستر) لربع ثانية فأطاره القناص ..

سقط (مستر) على الأرض بلا كلمة .. وسرعان ما تغطى وجهى بالدم .. حسبتنى أصبت وصرخت .. ووثب سبعة المحامين من على المنضدة وهم يعوون ككلاب محترقة .. وسقطت على ركبتي أنتظر انفجار الديناميت .. رفعت رأسى فرأيت (مستر) لآخر مرة على السجادة الثمينة ويداه إلى جواره ، غير قابرتين على بلوغ الملك الأحمر ..

فجأة امتلأت الردهة بفتية (السموات) بخوذاتهم
الشرسة وواقيات الرصاص .. حملونا إلى المصاعد ..

سألونى :

- « هل أصبت ؟ »

لم أعرف .. كان رأسى مغطى بالدم وسائل لزج ،
أخبرنى طبيب فيما بعد أنه السائل النخاعى الشوكى ..

ثلاثة

فى الطبقة الأولى كانت الزوجات والأصدقاء ينتظرون ..
نوت صرخات الفرح إذ زلوتا ..

وكنت مغطى بالدم لذا أخذونى إلى الحماميزيوم فى
القبو . كانت شركتى تمكنه لكن أحدا من المحامين لم
يكن يستعمله لأننا مشغولون جداً ، ومن المؤكد أن من
يستعمله سيكلف بالمزيد من العمل ..

حاصرني الأطباء الذين ليست بينهم زوجتى ، فأقنعهم
أن هذا الدم ليس لى دى .. هكذا استرخوا .. ما أردته فعلاً
كن حماماً ، أين (كثير) ؟ لقد ظننت تحت تهديد السلاح
ست ساعنت وحيثى مفعلة ، لكنها لا تقدر على المجيء ؟

كان الحمام دفا طويلاً ، وغسلت شعرى عدة مرات
ثم وقفت وتركت قطرات الماء تنحدر دهرأ .. عدت
لمكتبى بعد استبدال ثياب جماتيزيوم بتيابى فجاءت
سكرتيرتى (بونى) والدموع فى عينيها . كنت بحاجة
لرؤية هذا فعلاً .. وسألتنى :

- « هل أنت بخير ؟ »

- « اعتقد هذا .. »

قابلنى (رودلف) فى الردهة فاحتضنتى ، وقال :

- « أهنتك »

كأننى حققت إنجازاً ..

- « لا أحد ينتظر منك عملاً هذا .. »

قالت (بولى) وهى تضع المعطف على كتفى :

- « هناك صحفيون بالخارج »

نعم .. صحفيون ! ويا لها من قصة للإعلام ! لكن لم تعد هناك قصة .. لو أن الأمور سارت كما توقعنا لدوت طلقة ثم انفجار وتتطاير الأثرع والسيقان من النوافذ مع البث الحى فى تشرة التاسعة ..

- « سوف أوصلك للبيت .. »

سررتى بشدة أن أجد من يخبرنى بما يجب أن عمله ..

كان هواء الليل بارداً عذباً ألم رنتى .. ووقفت فى الركن أرقب السيرك الدائر أمامى .. سيارة إسعاف تقف بانتظار جثة (مستر) بلا شك ..

أنا حى ! أنا حى !

أغمضت عيني واصلت صلاة شكر ..

فى السيارة تكلمت أخيراً .. قلت لـ (بولى) :

- « لم يكن بنوى قتلنا .. »

سرت (بولى) لسماع صوتى ، فقالت :

- « وماذا كان يفعله إذن ؟ »

- « لا أعرف .. »

- « وماذا طلب ؟ »

- « لم يقل قط .. من الغريب أن تدركى أننا قضينا

عدة ساعات نتبادل النظرات لا أكثر .. »

- « أنت لا تتوهم رجال الشرطة طبعاً . »

- « لا .. ذكريني بأن أكتب لهم خطابات شكر . »

كنت شفتى فى (جورج تاون) وقد ترجت من السيرة
شاكرًا (بولى) . ورفعت رأسى للنواة فذكرت أن (كنير)
لم تعد بعد ..

قابلت (كنير) بعد أسبوع من انتقالى إلى واشنطن ..
كنت قد تخرجت فى (بيل) شركة غنية ووظيفة
ممتازة . قضيت عامى الأول أعمل خمس عشرة ساعة
يوميًا ستة أيام أسبوعيًا ، وكنت أقبل (كنير) يوم الأحد ..

خطر لنا أنه لو تزوجنا لوجدنا وقتنا أفضل مفا . وتم
الزواج .. ثم عدت لأعمل تسعين ساعة فى الأسبوع .
بدأت أعمل بعدى عنها ولا ألومها . لكن الفرص فى العمل
شحيحة والمكافآت عالية قد تبلغ مليونًا فى العام .
الفواتير أهم من الزوجات السعيدات . الطلاق شائع جدا
عندنا .

بعد عام بلغت (كنير) نروة تعاستها وبدأت تتشاجر

أعمل بزيادة صعوبة .. فرصتى تتزايد فى الشركة .
قررت (كنير) أن تدرس فى مدرسة الطب . فى النهاية
صرت فى وهى ممنى عمل كفتا عن الشجر وصرنا
لا نرى بعضنا لحسن الحظ أنت لم تنجب

بذخلت الشقة المظلمة شعرت بأننى أريد (كنير) لأول
مرة منذ أعوام . أنت تواجه الموت فتحتاج إلى أن تحكى
عه .. أن يحتاج لك احد .. أن يخبروك أنهم يهتمون ..

بعد قليل سمعتها على الباب . فتحته وصاحت :

- « مايكل .. »

ثم سألتنى باهتمام حقيقى :

- « هل أنت بخير ؟ »

- « بخير .. أين كنت ؟ »

- « فى المستشفى .. »

- « بالطبع .. كان يومى سيئاً .. »

- « أعرف كل شيء .. »

- « إذن أين كنت بحق الجحيم ؟ »

- « فى المستشفى .. »

- « آه .. تسع رهائن فى قبضة مجنون لمدة ست ساعات وأنت فى المستشفى .. يالى من شخص فقط ! »

جلست جوارى على الأريكة ، وقالت ببرود :

- « لم أستطع المجيء .. أرغمونا على البقاء فى المستشفى ، فقد سمعنا عن موضوع الرهائن .. كان هناك احتمال أن تحدث إصابات .. هذا وضع إجبارى .. وما كان بوسعى أن أساعدك لو جئت مكتبك .. »

ذهبت للمطبخ وعادت بشارب . ثم جلست جوارى فى شبه الظلام .. لأننا لم نكن نمارس الاتصال فقد وجدنا صعوبة فى بدء المحادثة ..

- « هل ترغب فى الكلام عن ذلك ؟ »

- « لا . ليس الآن .. »

بالفعل لم أكن أرغب .. لقد بدأت الحبوب المهدئة التى أعطونيها تعمل .. فكرت فى (مستر) وكيف كان هادئاً برغم أنه يحمل مصدساً ويطوق خصره بالديناميت ..
لم يكن يضايقه الصمت ..
الصمت هو ما أريد وغداً أتكلم ..

أربعة

صحوت فى الرابعة من صباح اليوم الثانى وأنا أشعر
رائحة نيك السائل الذى سأل على أنفى من مخ (مستر)
أصابنى الذعر وانتفضت فى الأريكة حتى سمعت من
يتحرك .. (كير) كانت غافية على المقعد بجوارى .

قالت فى نعومة :

- « كل شيء تمام .. مجرد كابوس .. »

- « هلا جلبت لى بعض الماء ؟ »

ذهبت إلى المطبخ .. وجلسنا نتكلم نحو ساعة
حكيت لها كل شيء وظلت تصغى فى انتباه . لم نكن
نتكلم تقريباً فى الأعوام الأخيرة ..

كانت تقوم بالمرور فى الساعة ، لذا طهونا الإفطار
معا وتناولناه فى المطبخ أمام التلفزيون الصغير
أخبار السادسة صباحاً تحكى عن دراما الرهائن
(مستر) كن اسمه (ديفون هاردى) . فى الخامسة
والأربعين . محارب سابق فى فيتنام له صحيفة
سوابق صغيرة . لا أسرة لا يوجد حفر واضح

كنا فى الثانى عشر من فبراير ، وقد توقعبت النشرة
الجوية سقوط ثلوج عصراً .. فى السادسة وأربعين
دقيقة قادتنى (كير) بمسيرتها إلى المكتب . ولم
أندهرس عندما وجدت سيارتى (الكساس) تقف وسط
العديد من السيارات . فساحة الانتظار لا تخلو أبداً .
لدينا أناس يمشون فى المكتب .

دخلت البناية فحييت ضابطى الأمن الجالسين . واتجهت
إلى أحد المصاعد . ذلك الذى استقننته مع (مستر)
امس لماذا اختر شركتنا بهذا ؟ لماذا أنا بالذات ؟
كيف اختر موظفى الأمن ؟ لماذا الضيق السادس ؟

ثم لماذا فعل ذلك ؟ هل ربط نفسه بالديمية لمجرد
أن يكون بعض المحامين الأتريء على بخلهم ؟ كان
موسعه أن يجد قوم أغنى وأكثر شراهة

توقف المصعد فخرجت منه

فتحت باب قاعة الاجتماعات لا أثر لشيء .. حتى
السجادة التى مات فوقها (مستر) قد تم استبدالها
بواحدة أفضل . وقد تم دهان الجدران بطبقة طلاء
طرزجة حتى ثق الرصاص فى السقف الخفى .

لقد أنفقوا مالا ليلة أمس حتى يصير الحادث كأنه لم يكن .. وماذا كنت أتوقع ؟ نصيبا تذكاريًا ؟ كومة ورود جلبها زملاء (مستر) من المتسكعين ؟

وجدت على مكتبى نسخة من (واشنطن بوست) ففتحتها .. عرفت من المقال المكتوب عن الحادث بعض أشياء .. الديناميت لم يكن كذلك .. كان عصي مكنسة تم طلاؤها وقطعها لتبدو كالديناميت .. المسدس مسروق ..

باقى المعلومات مصدرها من يدعى (مورديخاي جرين) وهو محام من العيادة للقانونية Law clinic فى الشارع ١٤ قرب (لوجان سيركل) .. كان (مستر) يعمل كمساع فى مشتل تعليمي ثم فصل من عمله بغرض تخفيض الإنفاق .. دخل السجن بضعة أشهر للسرقة ثم قذف فى الشارع .. طرد بحكم قانونى من مستودع كان ينام فيه . ليس من الصعب معرفة شركة القانون التى تتولى قضايا كهذه بين آلاف الشركات فى واشنطن ..

لم تعلق الصحيفة على الخبر أكثر من هذا .. لو مات المحامون التسعة الأثرياء لكانت قصة مثيرة جدًا .. حمدًا لله أن الأمر ليس كذلك .. أنا الآن أجلس على

مكتبى أطالع الصحيفة .. كان ممكنًا أن أكون فى المشرحة إلى جوار جثة (مستر) ..

جاءت (بولى) بعد قليل بابتسامة عريضة وطبق من الحلوى .. فى الحقيقة جاء كل المحامين التسعة .. لو تغيب أحدهم لكانت علامة على الضعف ..

جاءت مكالمة من آرثر .. لدينا فى الشركة حوالى عشرة (أرثرات) لكنه الرجل الذى لا يحتاج لذكر باقى اسمه .. كان (آرثر جاكوب) كبير الشركاء .. المدير التنفيذى .. رجل نحترمه ونعجب به ، وقد كلمته ثلاث مرات لا أكثر خلال سبعة أعوام ..

هنأتى على رباطة جأشى حتى شعرت بأننى بطل .. وقد طلب أن يقابل الرهائن فى العاشرة .. يريد أن يسجل إفادتنا على شريط فيديو ..

« ولماذا ؟ »

كان صوته حادًا كالموسى برغم أعوامه الثماتين وهو يقول :

- « نرى أنها فكرة طيبة . نعتقد أن أسرته ستحاول مقاضاة رجل الشرطة . وسوف يظن رجال الشرطة منا الدفاع عنهم .. »

حمداً لله . اين كنا سنكون من دون دعو قضائية ؟
رحمت أحاول ان أعمل . أممى كومة من المتفجرات .
لكنى لم أستطع . لقد تغير كل شيء . لم يعد مكتبى يمثل الحياة والموت ..

لقد رأيت الموت . ومن سذاجتى حسنت أن بوسعى أن أهرز كنتفى وأواصل حياتى العادية

كنت راغباً فى الرحيل . كنت - (بولس) إن لدى مهمة يجب القيام بها . ذكرتنى - جنماع (آرثر) . استقلت سيارتى وشغلت السخان وحنست فترة أفكر لو لم ألحق بالاجتماع لتضايق ارثر . لا أحد يفوت اجتماع مع ارثر . لا بأس هذه فرصة نادرة لا ارتكب الحماقات . فأتاحت تأثير الصدمة . وسوف يكون على آرثر أن يقبل هذا ..

كانت السحب تنأهب فى الجو والعاصفة قادمة ..
مررت بمتسول على قرعة الطريق فتساءلت إن كان يعرف (ديفون هاردى) ..

كنت سيارتى نحو (لوجان سيركل) حتى وجدت العميلة الفنونية فى الشارع ١٤ .. كنت بنلية من ثلاثة طوابق بنيت بالقرميد الاحمر .. بناية فكتورية رأت أياماً أفضل .. كان الباب مفتوحاً فمدت يدي للمقبض وولفت إلى عالم آخر ..

كان هذا مكتب محاماة . لكنه يختلف عن الرخام والماهوجنى فى شركة (دريك وسوينى) . كانت هناك أربعة مكاتب معدنية عليها ملفات .. وكان هناك رف مخصص للملفات يستند الى جدار .. عمر الهواتف ومنسقات الكلمات يتجاوز عشر سنوات .

كنت هناك امرأة (هسباتية) شرسة تطبع على آلة كتابية مائتتى :

- « هل تريد شيئاً ؟ »

كن هذا تحدياً أكثر منه سؤالاً . ونو أن سكرتيرة فى مكتب تعملت هكذا لطردت . اسمها (صوفيا مندورا)

(*) ذات جنور إسبانية من أمريكا الجنوبية .

كما عرفت من الاسم على مكتبها .. سألتها عن يدعى
(مورخاى جرين) ..

كان (جرين) رجلاً أسود بديناً فى الخمسينيات له حية
رمادية وعيونات مستديرة .. سألتنى بصوت كالرعد :

- « كيف أساعدك ؟ »

- « (ديفون هاردى) »

نظر لى لوهلة ثم للسكرتيرة ، ثم أشار لى لى مكتبه ..
كان هذا المكتب غرفة ضيقة تتناثر فيها الملفات على
الأرض ..

ناولته بطاقة الشركة ، وقلت :

- « جئت بالسلام .. لقد كانت رصاصة مستر (هاردى)

تفتك به .. »

- « هل كنت هناك ؟ »

وأخذ شهيقاً عميقاً وزال العبوس عن وجهه .. دعته
للجلوس على المقعد الوحيد ، فجلست وأنا أسب يدى
فى جيبى معطفى .. أنا الذى بدأت فعلى أن أبدأ الكلام ..
لكنه هو الذى قال أولاً :

- « اعتقد أن يومك كان عصيباً .. »

- « ليس كيوم (هاردى) .. قرأت اسمك فى الجريدة لذا
جئت .. »

- « لست متأكداً مما هو مطلوب منى »

- « هل تعتقد أن أسرته سترفع قضية ؟ لو كان
الأمر كذلك فلربما وجب أن أنصرف .. »

- « لا أسرة له .. يمكننى أن أحدث بعض الضوضاء ..
لا بد أن الشرطى الذى قتله كان أبيض .. ربما استطعت
الحصول على بعض المال من البلدية ، لكن هذه ليست
فكرتى عن التسلية ، فالله يعلم أن عندى ما يكفينى من
مشاكل .. والآن هل هذا سبب قدومك ؟ »

- « لا أعرف سبب قدومى .. لقد ذهبت لمكتبى صباحاً
فلم أستطع أن أعمل وهأنذا .. »

ثم سألته :

- « أين هو الآن ؟ »

- « مشرحة المدينة .. سوف يعدون له جنازة على
سبيل الصدقة .. »

- « هل كان مصابا بالإيدز ؟ »

- « لماذا تسأل ؟ »

- « لأن دمه تآثر على وجهي لحظة مصرعه . »

- « كلا . لم يكن مصابا بالإيدز على قدر علمي . »

هنا دخل المكتب رجل منتج رسمت على وجهه علامات المحامى الذى يحاول أن ينقذ العالم .. عرفت فيما بعد أن اسمه (أبراهام) لم يحفل (جرين) بتقديم له ، وقال :

- « الجنيد قادم . يجب أن نتأكد من أن كل الملاجئ مفتوحة .. »

ثم التفت لى ، وقال :

- « هل هذا كل ما جئت من أجله ؟ الاطمئنان على الدم ؟ »

- « كلا . أريد أن أعرف لم فعل ذلك ؟ »

- « كان محتر العقل ككل هؤلاء الذين يمضون حياتهم فى الشوارع وينامون فى البرد غارقين فى الخمر . »

ويطردهم رجال الشرطة .. لابد أن تجن .. كان (هري) يقيم فى مستودع مهجور اتخذه قواد سابق مأوى لمن لا بيت له .. ثم جاءت شركة اسمها (ريفر أوكس) استطاعت للحصول على هذا المستودع وطردت من فيه . «

- « وهناك احتمال لا بأس به أن شركتى هى التى مثلت (ريفر أوكس) .. »

- « نعم .. يقولون إن الطرد تم دون إخطار مجموعة المتشردين هذه . وهم كانوا يدفعون إيجارا .. أى إتهم كانوا مستأجرين ولم يكونوا مقيمين بوصف اليد .. »

- « ولين هذا المستودع ؟ »

- « لم يعد هناك مستودع لقد سوود بالأرض الأسبوع الماضى .. »

ونظر لساعته . حق أخذت من وقته أكثر من اللازم .

غادرت المكتب وتجهت (صوفيا) التى تجهتت بدورها . وفى الخارج كانت سيارتى تنتظر وعليها جنيد سمكه بوصلة ..

خمسـة

كنت أشعر بالدفء والراحة فى سيارتى ؛ لذا رحت
أجوب شوارع المدينة وسط الثلج المنهمر ، لا أعرف
أين أذهب .. لكنى لم أرغب فى العودة للمنزل ..

اتصلت بى (بولى) تخبرنى أن (آرثر) يسأل عنى
وكذا (رودلف) .. الكل يبحث عنى .. قلت لها إنى عند
الطبيب ..

« هل هذا صحيح ؟ »

« ممكن .. »

فى الرابعة مساء كانت المدينة شبه خالية والسماء
مظلمة ..

اتجهت إلى الشركة ، حيث أخبرنى رجل الأمن أن أكثر
المحامين والموظفين قد عادوا لبيوتهم فى الثالثة بسبب
الطقس اللعين .. ركب المصعد إلى مكتبى وفتحت جهاز
الكمبيوتر أتفقد بيانات عملائنا ..

كانت شركة (ريفر أوكس) قد تأسست عام ١٩٧٧
ومقرها فى (هيجرستاون ميريلاند) .. كان محاميهـا
عندنا هو (بريدن تشاتس) .. اسم أعرفه .. إنه يعمل
فى العقارات فى الطابق الرابع من هذه البناية وعمره
٤٤ عامًا .. درس القانون فى (دوك) وتخرج فى
(جستبرج) .. وجدت بيانات استيلاء الشركة على
المستودع الذى أعرف أن من بين سكاته مستر
(هاردى) .. الرجل الذى أخذ الأمر بشكل شخصى
وقرر عقاب المحامين الذين طردوه ..

لم أكن أفهم فى العقارات ولسبب ما كنا نعتبر
المختصين بها أقل شأنًا من باقى التخصصات .. كنت
أنا أعمل فى مجال الضرائب ، وهو مجال معقد لكنه يلقي
أفضل التقدير فى هذه الشركة .. لهذا لم أفهم لماذا يفضل
بعض المحامين أن يعملوا فى العقارات ..

تجهت إلى الطابق الرابع وبحثت عن (تشاتس) الذى
بدأنى مشغولاً جداً .. كان البروتوكول يقضى بأن اتصل
أولاً وأحدد موعداً ، وهذا لم يجعل مزاجه أكثر صفاء ..

كان هك موظف يتابع حديثنا باهتمام وإن تظاهر بأنه يفتش فى بعض الملفات ..

سألته عن موضوع طرد (هاردى) فبدأ عصبياً .
أدركت على الفور أنهم تنبهوا للاسم ولابد أنهم درسوا الملف جيداً هذا الصباح .. قال لى :

- « كانوا سكاتاً بوضع اليد .. »

- « هل أنت متأكد ؟ هل لى أن أرى ملف القضية ؟ »

- « لا .. هذا ليس من شأنك وأنا مشغول جداً لهذا استأذنتك فى الرحيل .. »

ابتسمت له وانصرفت ..

عندما مررت جوار الموظف ، سمعته يقول بصوت واضح لا شك فيه :

- « يا له من جحش ! »

يتكلم عن رئيسه .. إذن هناك سبب ما يدعوهم لإخفاء ملف قضية الطرد .. ما هو ؟

كان هناك صراع دائم بينى و (كثير) حول أينما أكثر أهمية . الجراح أم المحامى ؟ هى كانت تملك الكثير من انضموح .. تحتم بأن تكون أعظم جراح اعصب فى العدم الجراحة التى يلجأ إليها الرجال عندما يفشلون فى كل شىء ..

أما أنا فكنت أهتم بمرتبة الشريك فى شركتنا يحصل الشريك على مليون دولار ربما مليونين فى العام فلو حققت هذا فى سن الخامسة والثلاثين ، فمعنى هذا أن أمامى نحو ثلاثين عاما من الثراء ورغد العيش .. هذا هو الحلم الذى كان ييقينا فى مكتبنا ليلاً ونهاراً ..

كنت أفكر فى (مورديخاى جرين) كلابا درس القانون وكلاهما مر بذات الاختبار ، لكننى أساعد عملى على ابتلاع مافسيهم حتى يضيفوا المزيد من الأصفار لحسابهم . بينما هو يساعد المتشردين على العثور على مأوى وطعام ..

هنا أخرجتنى من خواطرى (كلير) ، إذ اتصلت بى
تسألنى لماذا لم أمر عليها فى المستشفى .. قلت لها
إننى كنت مشغولاً .. وهى حيلة أخرى بيننا .. كل طرف
يتظاهر بأنه شديد الاهتمام ..
هذه ليلة أخرى قد فست .

سنة

أخيراً توقف الجليد ، وكنت و (كلير) نرشف القهوة
فى المطبخ .. كنت أطالع الجريدة فى ضوء الشمس
الساطعة ، وعرفت أن المطار الدولى صار مفتوحاً
للطائرات بعد فترة توقف .

قلت لها :

- « فلنذهب إلى فلوريدا .. »

- « الآن ؟ »

- « أو البهاما .. يمكن أن نكون هناك قبل العصر ..
لنا لن أعمل لعدة أيام .. »

- « لماذا ؟ »

- « لأننى أنهار .. وفى شركتنا لابد لمن ينهار أن
يظفر بإجازة بضعة أيام .. »

قالت :

- « لا أستطيع .. »

وهكذا انتهى الموضوع . كانت مجرد نزوة .. وكنت أعرف كثرة ارتطاطاتها . لم تكن لتأتى معى فى كل الظروف . إنها محاصرة بالمحاضرات والمرور والجراحات . حياة طبيب مقيم طموح ..

أوصلته إلى المستشفى ، ولم يتبادل كلمة ونحن نحترق الشوارع المفضة بالشمع . قلت لها بنهجة الامر الواقع .

- « سوف أسافر إلى ممفيس بضعة أيام .. »

قالت بلا اهتمام :

- « حقاً ؟ »

- « أريد رؤية أبوى . لقد مر عام وأنى لست فى حال تسمح لى بالعمل .. »

- « اتصل بى إذن »

قالتها وفتحت الباب وخرجت لا كلمت وداع ولا حرارة لا قبلات ..

لقد انتهى كل شيء .. أكره أن أخبر أمى بهذا

كن أبواى فى أواخر الستينيات من العمر . لكنهما بصحة طيبة . لقد عملا بجد واخرا من المال ما يكفى لتعيش فى أعلى الطبقة المتوسطة . كنا صلبين محافظين وطنيين بحان بعضهما .. وكانا حزينين بسبب طلاق أخى منذ ثلاثة أعوام ..

كان محامياً فى أطلالها تزوج حبيبته فى الكلية .. بعد طفلين فقد الزواج وحصلت هى على حضنة الطفلين .

استأجرت سيارة من مطار ممفيس . واتصلت بأمى لأخبرها بقومى ..

ما إن رأتى حتى عانقتنى ، وقالت :

- « تبدو متعباً . »

وهى تحبها المعتادة ..

- « شكراً يا أماه .. وأنت تبدين رائعة .. »

وكانت كذلك فعلاً ..

سألتنى ونحن نرشف الشاي المثلىج فى الكوخ الخشبي بالحديقة .

- « أين (كنير) ؟ أنتما لا تتصلان بنا أبدا .. لم أسمع صوتها منذ شهرين »

- « بخير يا أماء .. كلانا سعيد وبصحة طيبة وتعمل بلا توقف .. »

- « هل هي فى أمان ؟ »

- « فى أمان كأي شخص فى واشنطن .. إنها تقيم فى المستشفى ، ورأيت أن هذا أفضل مكان يوجد فيه المرء فى تلك المدينة .. »

- « هل تمضيان وقتا كافيا معا ؟ »

- « ليس تماما .. »

بدا قلق الأمهات فى عينيها ، وسألتنى :

- « هل هناك متاعب ؟ »

- « نعم .. »

- « تأكدت من هذا .. بالتأكيد أنت لا تسعى للطلاق .. هل جربت استشارة خبير زواج ؟ لماذا لا تعطى زواجك فرصة ؟ »

- « أحاول يا أمى لكن هذا ليس سهلاً .. »

- « والسبب ؟ »

- « لا شيء .. شخصان يمشيان فى طريقين منفصلين .. أعمل سبعين ساعة فى الأسبوع وهى تعمل الثمانين الباقية .. »

- « العمال ليس كل شيء .. »

ورأيت الدمع يتجمع فى عينيها .. كنت أعرف ما تفكر فيه .. اثنان فشلا .. كانت تعتبر فشل زواجي فشلا لها .. حاولت أن أبعد عن الموضوع بأن أحكى لها قصة (مستر) . لو كنت قد نشرت فى صحف (ممفيس) فقد فاتها أن تقرأها ..

قُت لأبى هذا المساء ، ونحن فى ملعب الجولف :

- « لقد منعت هذه الشركة يا أبى .. »

قال أبى :

- « مرحباً بك فى عالم الواقع .. هل تحسب الرجل الذى يعمل على مكبس فى مصنع غير منك مما يقوم به ؟ على الأقل أنت تكون ثروة .. »

ثم ضرب الكرة ، وقال :

- « هل تفكر فى تغيير مهنتك ؟ »

- « ربما .. »

- « وماذا تعمل إذن ؟ »

- « لا أعرف .. الوقت مبكر لهذا .. »

- « إذن كيف تعرف إن كان للشعب أكثر الخضراوات ؟ »

كنت أهاب هذا الرجل ذا الشعر الأبيض كثيرا ، لقد علم ابنه أن يكفحا وأن يصيرا قويين . يكونا ثروة وينعما بحياتيهما على الطريقة الأمريكية .

قلت مفكرا :

- « أفكر فى الخدمة العامة .. »

- « ما هذا بحق الجحيم ؟ »

- « معنى هذا أن تعمل لخدمة الناس دون أن تحصل على ثروة .. »

قذف الكرة من جديد .. لكنها كانت رمية سيئة لأن اهتمامه تشتت ، وقال :

- « أكره أن أراك تفسد مهنة طيبة يا بنى .. لقد عملت بجد لتصل إلى ما أنت فيه . أعتقد أنك بحاجة لفترة راحة بعيدة عن العمل ، وهذا كل شيء . »

دعوتهما للعشاء فى مطعم فاخر ، وبذلنا جهدا كبيرا كي لا نتكلم عن الحادث وزواحي والأحفاد الذين لن يرياهم ..

ويوم الجمعة ظهرا رحلت قبل موعد الطائرة بأربع ساعات متجها إلى حياتى المرتبكة فى واشنطن ..

سبعة

بالطبع كانت الشقة خالية عندما عدت مساء الجمعة ..
لكن كانت هناك مذكرة على نضد المطبخ .. إن (كلير)
ذهبت لأسرتها فى (بروفى دانس) لبضعة أيام مقتدية
بخطواتى . لم تقل السبب ، لكنها طلبت أن أتصل بها
لدى عودتى ..

اتصلت بأبويها فى وقت المساء ، فعرفت أنها بخير
وسوف تعود عصر الأحد ..

اعتقد أن (كلير) تحكى لأبويها ذلك للقصة المؤسفة التى
أزعجت أبوى بها يوماً ما - على الأرجح الاثنين - سوف
نجلس معاً فى المطبخ ونناقش الأمر ونعترف بأن كل
شئ انتهى .. سوف نتحدث عن مستقبلنا منفصلين .
أعرف ما سأقول بالضبط ..

خرجت أمسى فى المدينة التى ما زال الجليد يكسوها ..
كنت مرهقاً من كثرة العمل .. برغم أننى فى الثانية
والثلاثين . فقد كان على أن أعترف بأننى مرهق ولم
أعد طازجاً كما كنت يوم تخرجى ..

كان الجو شديد البرودة لذا ابتعت شطيرة ، وضعتها
فى جيبى وعدت لشقتى .. أشعلت ناراً ، وتناولت عشائى
فى الظلام وحيداً جداً .. فى أمسيات كهذه كنت أجد
لنفسى العذر على أذهب للشركة .. لكن غيابى لن يحدث
أى فارق هناك .. مكتبى سوف يحتله خلال دقائق أى
واحد من صف المحامين الشبان ..

فى التاسعة دق جرس الهاتف فأقزعنى . كان هذا
(موردخاى جرين) يصيح :

- « هل أنت مشغول ؟ »

- « لا .. ليس تماماً .. ماذا هناك ؟ »

- « الجليد ينهمر ونحن بحاجة لأيد عاملة هنا .. هل
لديك ساعات تمنحها لى ؟ نحن بحاجة لمن يساعدنا ..
للمطبخ ومطاعم الحساء مزدحمة ، وليس لدى متطوعون
يكفون .. »

- « لا أعتقد أننى مؤهل لذلك .. »

- « هل بوسعت أن تدهن الخبز بزيده الفول السودانى ؟ »

- « أعتقد هذا .. »

- « إذن أنت مؤهل .. » ن على بعد عشرة مربعات من مكتبى عند تقاطع الشارع ١٣ مع (إقليدس) . هنتك كنيسة على اليمين اسمها (نزر) .. نحن فى القبو . »

كانت هذه منطقة خطيرة . لابد ، سلاح ترى هل يحمل واحدا ؟ لكنه زنى وأنا لا .. ماذا عن سيرتى الفاخرة ؟

لكنى قلت له وقلبنى يخفق :

- « سوف أكون عندك بعد عشرين دقيقة »

ارتديت ثياب رخيصة وانتزعت من حافطتى بطاقة الائتمان وكل ما هو ثمين . ثم وجدت عندى ستر قديمة ملوثة بالقهوة والطلاء ارتديتها . لشد ما أحتاج إلى ستر واقية من الرصاص . لكن ما إن خرجت إلى البرد حتى شعرت بآثار عظيمة ..

وجدت الكنيسة ومكانا أوقف فيه سيارتى اجترت المدخل إلى عالم الذين لا بيت لهم ..

أصابنى الذهول من عدد الفقراء المحتشدين فى القبو .. بعضهم يرقد على الأرض ، وبعضهم يلتف فى مجموعات صغيرة . كل بوصة مربعة احتلها بشر .. البعض يأكل على موائد طويلة .. كان المتطوعون يمررون البطاطين والتفاح ..

المطبخ يعج بالحركة واستطعت أن أرى (موردخاى) يصب عصير الفاكهة فى أكواب ورقية ، بينما ينتظر طيور من البشر فى صبر على الموائد . كانت الغرفة دافئة وقد امتزجت روائح الطهى لتصنع خليطا ليس منفرأ ..

سر (موردخاى) لدى رؤيتى . وقدمنى لاثنين من المتطوعين .. ثم طنب منى أن أحمل صينية من خبز أبيض ، وقال :

- « عندك سجق هن ومسترده ومايونيز هنك . ضع مستردة على نصف الشطائر ومايونيز على نصفها . شريحة سجق وشريحتا خبز .. من وقت لآخر اصنع دسنة شطائر بزبد الفول السودانى .. مفهوم ؟ »

ثم ضربنى على كتفى واختفى ..

كان المتشردون يقفون بانتظار دورهم .. كل واحد يأخذ سلطانية حساء وملعقة خشبية . نصف شطيرة . ثم تفاحة . وفى النهاية كوبًا من عصير التفاح .. وجوه لا تفارق الطعام ..

كانوا يأكلون ببطء لاستبقاء مذاق الطعام ودفعه فى فمهم أطول وقت ..

فى المطبخ كان هناك من يقطع الخضر ، ومن يعطى بالموقد . حتى هذه اللحظة أنا رجل الشطائر الوحيد ..

قلت له (موريدخاى) :

- « الخبز ليس طازجًا .. »

- « نعم . وهو مجانى كنتك .. يتبرع به مخبز قريب .. هل لك فى شطيرة ؟ »

- « شكرًا .. تناولت عشائى .. »

- « ما أول كلمة تتداعى إلى ذهنك ؟ »

- « لا جدوى .. »

- « هذا متوقع . لكنك سوف تغد هذا وتتغلب عليه .. »

- « كم من الناس يقيمون هنا ؟ »

- « لا أحد .. إنه مجرد مأوى لتقديم الطعام . لكن الكنيسة تفتحه فى وقت العواصف .. »

- « إذن أين يقيم هؤلاء ؟ »

- « بعضهم - وهم المحظوظون - يسكنون بوضع اليد فى مبان قديمة . لكن أكثرهم ينامون فى الحدائق أو الشوارع أو محطات الحافلات . لكن هذا مستحيل الليلة . »

- « وكم عدد الذين لا بيت لهم فى المدينة ؟ »

- « سؤال جيد لأنه من الصعب أن تحصيهم .. أغلب الظن أنهم عشرة آلاف .. »

ثم تركنى ليواصل العمل ، وفى هذا الوقت رجل أحد المسنولين عن عمل الحساء : لذا وجدت مهمتى هى تقطيع الجزر والكرفس جوار واحدة من المتطوعات تدعى مس (دونى) كانت تراقب عملى بصرامة . وقد قالت لى أكثر من مرة إن قطع الكرفس كبيرة ..

سألتها :

- « ألم تعادى بعد رؤية هؤلاء القوم ؟ »

قالت ، وهى تمسح يدها فى منشفة :

- « لن أعتاد أبداً يا عزيزى ، ما زال المشهد يحطم قلبى ، لكن المثل يقول : سعيد هو الرجل الذى يطعم الفقراء .. »

ثم قلبت الحساء ، وقالت :

- « الدجاج جاهز لك .. »

- « وما معنى هذا ؟ »

- « معناه أن عليك أن ترفعه عن الموقد وتصب الحساء فى إناء ، ثم تنزع العظام عن الدجاج .. »

كان هناك فن خاص لتنزع العظام باستعمال طريقتهما ، لكن أناملى احترقت وامتلات بالفقاقيع حينما انتهيت .

ماذا أفعله هنا ؟ وماذا لو رانى رفاقى ؟ هنا فى قبو كنيسة فى بقعة خطيرة من واشنطن .. وسط الذين لا بيت لهم .. فقط كنت أعرف أن سيارتى قد ضاعت للأبد على الأرجح ، ومن المستحيل أن أخرج الآن من دون (موردخاى) .. فتى أبيض ثرى فى هذا المكان هو دعوة للسطو أو الاعتداء ..

إنها الثالثة صباح السبت وقد وجب أن أرحل . مشى معى (موردخاى) فى الشارع ، وشكرنى على مجيئى . كنت سيارتى حيث تركتها ، وقد غطها المزيد من الثلج .. وقف الرجل جوار الكنيسة يرقبنى وأنا أبتعد .

ثمانية

لم أعمل ساعة واحدة فى شركة (دريك وسوينى) منذ
لقلنى ب (مستر) يوم الثلاثاء كنت أحصل ثمانى ساعات
يوم سبعة أيام فى الأسبوع .. فإذا تأخرت فى تحصيل
الساعات كنت أمضى اثنتى عشرة ساعة يوم الأحد .

كنت الآن أرمق السقف فى غرفة نومى صباح السبت .
لا أستطيع ولا أريد الذهاب للعمل .. الأوراق الوردية
الخاصة بمكالمات الهاتف اتى تضعها (بولى) على مكتبى .
والاجتماعات .. والثرثرة والنقير والنقال .. مع (كيف
حالك ؟) من هؤلاء الفنانين على سلامتى .. ثم العمل
نفسه شركة تمتك بليون دولار تقضى أخرى .

اعترف الآن اننى لم أحب عملى قط . كن مجرد
وسيلة ..

أرغمت نفسى على مغادرة الفراش والوقوف
تحت الدوش . ثم أظلمت ببعض انكرواسان
والقهوة ..

وصلت إلى الشركة وعلى الفور قابلت أحد زملاى ..
(بروس) شىء ما دخل المصعد وقال لى بجدية :

- « كيف حالك ؟ »

- « بخير .. وأنت ؟ »

لحسن حظى رحل فى الطابق الثانى وصعدت إلى
الطابق الذى يوجد فيه مكتبى لأسترخى فى مقعدى
الحندى .. عدلت على مكتبى ٣٩ مذكرة وردية تحوى
للمكالمات اتى وصلتنى . من الواضح أن (رولف) اتصل
كثيرا وكن فى حلة جنون خمنت هذا من خط (بولى) !
ليذهبوا إلى الجحيم أريد أولا أن أنهى قهوتى فى سلام ..
كنت أفعل هذا عندما ظهر (رولف) .. لابد أن
الجواسيس أبغوه ..

جنس ووضع ساقا على ساق . ثم قال :

- « مرحبًا .. »

- « مرحبًا يا (روى) .. »

لم أقل له قط (روى) فى وجهه . وإنما (رولف) .
سألتى دون أى تعاطف :

- « أين كنت ؟ »

- « فى مفيس .. »

- « مفيس ؟ »

- « نعم .. أردت أن أرى أبوى .. ثم إن طبيب الأسرة
النفسي هناك .. أراد أن يلاحظنى يومين »

كنت اكذب ولم يضايقتى الكذب . إن الشركة تستطيع
متى شاءت أن تكون خسنة بل قاسية . وأنا لست فى
حالة تسمح لى بتلقى لوم (رولف) ..

- « كان عليك أن تبلغ أحدا .. »

قالتها فى خسونة . لكنى كنت أعرف أنه سيلين
بعد قليل قال :

- « هل أنت بخير ؟ »

- « الطبيب النفسى قال إننى بخير .. »

ابتسم ثم غادر مكتبى . سوف يتصل بأحد المديرين
ليخبره أن فرس الشركة قد عاد إلى سرجه ..

ظننت على المكتب ساعة أليمة ، أحاول أن أفهم شيئا
من القصصات هناك .. فى النهاية غادرت المكان ..
قررت دون أن يقبض على أحد ..

* * *

توقفت أمام صيدلية تعطى تخفيضات فى
(مامنتوشوس) وابتعت أشياء كثيرة .. حفاظات
للأطفال وحنوى وشيب . لم أستمتع فى حياتى بانفاق
مائتى دولار كما شعرت فى هذه اللحظة ..

توقفت عند الكيسة غير شاعر بالخوف كما كنت أمس
لكنى ما زلت خائفا . تركت كل شيء فى السيارة ، لأنسى
لو مشيت مثل (ببا نويل) لبدأت مظاهرة من حولى ..

رحبت بى معص (دولى) وأشارت إلى كومة من
الخضراوات والجنود التى يجب أن تتزع .. وقفت أساعدها
حتى ظهر (مورداخاى) ، وحين تلاقت عينانا ابتسم .

وقفت معه نقدم الطعام على الموائد .. كان صبا
الحساء فنا . ضع حساء كثيرا وسوف يرمقك الطاعم
فى كراهية .. ضع خضرا أكثر . وسرعان ما لن تجد
سوى الحساء فى الإساء الكبير .. كان (موردخاى) قد
أجاد هذا الفن إلى درجة الكمال .. وكان يوزع الاهتمام
ويرحب بالجميع . فكان البعض يرد التحية والبعض
لا يرفع رأسه عن طعامه ..

عند الظهيرة ازدادت صفوف الجوع . وظهر متطوعون
من حيث لا تدري ..

عندما بدأت الصفوف تقز . ملأ كل منا سلطانية
حساء ووقف نأكلها فى المطبخ جوار الحوض . وقال
لى موردخاى :

- « المشردون لا يهدءون .. يحون التنقل من مكان
لاخر ولديهم طقوس وروتين وأماكن مفضنة وأصدقاء
شوارع .. »

ثم دعانى إلى الخروج فى جولة . كانت سيارته
الـ (توروس) تقف خلف سيارتى (الكساس) .. فقل
وهو يشير لها :

- « هذه لن تبقى طويلا فى هذه البقعة من المدينة
لو كنت تنوى أن تمضى وقتا أطول هنا فعليك أن تفكر
فى مبادلتها بواحدة أصغر .. »

وانطلقنا فى سيارته . خلال لحظات أدركت أن
(موردخاى) سائق شنيع . وحاوت أن أربط حزام مقعدى
لكى كان محطما اقتادنى عبر شوارع لم أرها من
قبل . شوارع ضيقة فقيرة قذرة . كل ركن له قصة .
كل شارع له تاريخ . يعرف كل متسكع ويعرف كل
رجل دين ..

أرأتى مدرسة انفتون التى درس فيها وعمل ليلا ..
أرأتى المكان الذى كان باعة الهيرويين يقفون
فيه . ابنه الثالث (كسيوس) مات هنا على جانب
الطريق ..

طلب مني أن أمر معه على مكتبه ليفقد بريدہ ، وقال
وهو يدخل المكان للرطب المعتم :

- « كن عندنا تسعة محامين في الماضي . كان هذا
عندما كنا نتلقى منحة الحكومة . اليوم لم نعد نتلقى شيئاً
بفضل الجمهوريين في الحكومة . كل عام نفقد محامياً
بسبب تخفيض الميزانية .. لا اعتقد أننا سنكون موجودين
بعد خمسة أعوام .. »

كان البرد شديداً فسألته :

- « هل نسيت دفع فاتورة التدفئة ؟ »

- « ربما . نحن لا نعمل في أيام العطلة ؛ لأن هذا يوفر
العمال . ومن المستحيل أن نبرد أو تدفئ هذا المكان »

كنت أشعر بأنه يقودني إلى الشرك ، لكنني ظننت
أسأله عن عمل المحامين في هذه المؤسسات
فقال لي :

- « أغلب هؤلاء القوم المشردين لا يعرفون
حقوقهم . هنا يكون دور المحامي أن يتصل بموظف

بيروقراطي متكسل ليوبخه .. يكون لهذا مفعول
السحر . منذ شهر ذهب أحد عملائنا إلى مركز
التأمينات الاجتماعية لتقديم طلب . مجرد عمل
روتيني .. إنه في الستين من عمره ، وظهره يؤلمه
بشدة . هكذا يكون حالك عندما تنام على الصخور
والأغصان عشر سنوات . انتظر ساعتين وفي النهاية
أدخلوه .. انتظر ساعة أخرى ثم وقف في طابور حتى
واجه سكرتيرة سنيطة اللسان . لقد أهانتني وانتقدت
راتحتي . وفي النهاية انصرف من دون أن ينجز
شيئاً . اتصل بي فاتصلت بهم . لقد أُلقيت عليهم
موعظة هناك . على السكرتيرة والمدير ومدير
المدير . حتى أرغمت السكرتيرة على الوقوف أمام
موكسي ، والاعتذار ثم أنهت أوراقه .. هكذا تكون
العدالة . هذا هو العمل القانوني المختص بالشوارع ..
كرامة الإنسان .. »

ثم يكن يطبق البيروقراطية ، وكانت فكرته عن عمل
المحاماة هي للصراخ والزمجرة ..

وواصل قصصه التى تنتهى كلها بمحامى الشوارع
باعتبارهم الأخيار . والمشردين هم المنتصرون
وكنيت أفهم أنه يمهّد الأرضية لما سيطلبه بعد
ذلك ..

تسعة

عندما عادت (كلير) عرفت أن أخذها أصيب بداء
(هودجكين)* لذا اجتمعت الأسرة فى (بروفى
دنس) .. أصغيت لها تحكى عن عطلة نهاية الأسبوع
وصدمة الأخبار وكيف بكوا .. إن أسرتها أسرة دموع
وأحضان . وقد اندهشت لأنها لم تظننى معها ..

سوف يبدأ العلاج حالاً والأمل كبير ..

سرّها أن تعود للبيت وأن تلقى بحملها على كاهل
أحد . كن الأمر شبه رومانسى برغم أننى امتلأت
بالتدوب حتى لم أعد قادراً أن أكون عاطفياً . أبديت
جزعى بسبب الأخبار . وقتت عبارات مناسبة ، فلم يكن
هذا ما توقعت ولا ما أردت ..

كنت قد أعددت نفسى لمشادة عقيمة . بعدى تستعد
لمواجهة الأمر بسجاعة .. لى لم كن فى مزاج يسمح
بأى نوع من العاطفة ..

(*) نوع من السرطان اللينعوى .

قالت لى أنسى أبداً مرهقاً فكدت أشكرها . ظننت صامتاً حتى انتهت ثم بدأت نتكلم على .. أخبرتها بكل شيء عن حياتى كمضطوع فى الملاجى .

أثار هذا دهشتها لم أعد نفس الشخص الذى كنته منذ أسابيع . ولم تكن متأكدة إن كانت تحب هذا الحديد أكثر من القديم . أنا نفسى غير متأكد ..

عشرة

بما أنسى و (كثير) مدمنا عمل ، فلم تكن بحاجة لاستعمال منبه ليوقظنا ، خاصة صبيحة الاثنين حينما نواجه أسبوعاً كاملاً من التحديات صحونا فى الخامسة وتناولنا الإفطار ثم انطلقنا فى طريقنا ، وكلاهما يرغب فى أن يكون أول من يرحل ..

فى طريقى للمكتب أزمعت أن أضع حاجزاً بينى وبين منشردى الشارع . سأجد وقت للعمل التطوعى واحافظ على صداقة (موردخى) ، ولربما مررت من وقت لآخر للمساعدة فى اعداد وحبات الجوع . سوف أكون مفيد للفقراء أكثر وأنا فى منصبى . أكثر بكثير مما أفيدهم لو صرت محامى فقراء آخر .

إذا قدت سيارتى للمكتب شعرت بأنى بحاجة إلى يوم طوله ٤٨ ساعة كي أتمكن من استعادة جدولى .. لقد تأثر عملى كثيراً فى الفترة السابقة ، ولا يثب من هذا القطار المزعج إلا أحمق ..

ركبت مصعداً مختلفاً هذه المرة ، محاولاً أن أنسى (مصتر) ..

لقد اتجهت لمكتبى قبل السادسة صباحاً .. شاعراً بأن عودتى شيء جميل . بدأت بتفقد جريدة (وول ستريت) لأنى أعرف أنها لن تتكلم عن سكان الشوارع ..

على مكتبى وجدت مطروفاً من المانيا .. الطراز الذى تستعمل شركتى الملايين منه .. ولم يكن عليه أى بيانات الأمر الذى أثار ريبتى ..

فتحت الملف فوجدت ورقة من أوراق شركتنا الرسمية .. وفيها قائمة أسماء الذين تم طردهم من ذلك المستودع .. وكان الاسم الرابع هو (ديفون هاردى) .

فى نهاية الورقة كتب مرسل الرسالة المجهول .
« الطرد كان خطأ قانونياً .. »

كتبها بحروف كبيرة واضح أنه حاول بها ألا يتم تعرفه لو أننى عرضت الورقة على خبير خطوط .

أشرق الشمس وسمعت صوت (بولى) فحييتها كأنه لا توجد مشاكل ..

كن الصباح مزدحمًا بالمؤتمرات والمقابلات . وقد أدبت عملى بكفاءة رغم أننى لا أذكر حرفاً مما قيل .. وقد بدأت الشكوك بصدد حالتى العصبية تتلاشى

اتصل بى أبى ليطمئن علىّ قال إن السماء تعطر فى (معفيس) وإبه جالس مع أمى فى البيت قلقين علىّ . سره أننى ما زلت فى الشركة . أصنع الثروة وأبحث عن المزيد ..

اتصل بى أخى (وارنر) من أتلانتا .. كن فارق السن بيننا قد جعلت متعادين فى طفولتى . وكان محامياً مهتاً يعمل بالساعة . لذا أدركت أن المحادثة مختصرة ..

قال لى :

- « سمعت من أبى الأخيار .. أعرف ما تشعر به . عندما كنا فى مدرسة الحقوق سألون عمن يرغبون منا فى العمل العام فتحمسنا جميعاً .. بعد التخرج بسنتين صرنا جميعاً لا نريد إلا المال .. لكننى جربت العمل لعدم لأن شركتنا تسمح لك بأثنى عشر شهراً إجازة تمارس فيها ذلك . ثم تعود لتجد كل شيء لم يتغير .. »
ياك من عبقري ! هذا هو الحل ! اثنا عشر شهراً أعمل فيها ما يحلو لى . ثم أعود لأجد وظيفتى كما هى ..

- « أنت تعرضت لصدمة كبيرة . وكنت تقس .. هذه نقطة مهمة يجب أن تنعب عليها .. قل إنك بحاجة لعدم تستجمع فيه نفسك بعدها تعود لهذه الشركة .. »

كان شخصية قوية تعرف ما تريد . ولم يخسر جدالاً قط .. وهكذا ودعته ، ثم تناولت الغداء في مطعم فاخر مع (رودلف) و عميل فيم يدعى بـ (غداء عمل) .. ومضى هذا أنه لا خمور . وأن العميل سيدفع لنا بتساعة لأننا سنناقش قضية أثناء الغداء . (رودلف) يتقاضى ٤٠٠ دولار في الساعة أما أنا فتقاضى ٣٠٠ .. استغرق الغداء ساعتين أي إن العميل دفع ١٤٠٠ دولار لشركة تدفع ثمن غداتنا لكنها بشكل ما ستضيف الثمن على فاتورة العميل ..

في الخامسة عصراً استطعت أن أكون وحيداً للمرة الأولى ، ففتحت المظروف ..

يتكرر اسم (شانس) أكثر من مرة في هذه الأوراق .. إنه المحامي الذي طردني تقريباً من مكتبه عندما سألته عن قضية الطرد مفتاحي للحل هو الموظف الذي كان يتابع المحادثة ، والذي وصف (شانس) بأنه جحش .

أجريت بعض مكالمات حتى توصلت إلى أن اسم الموظف هو (هكتور بالما) قررت أن أقبضه عن خارج الشركة ..

دعني (مورديخاي) إلى العشاء معه في مطعم قريب . وقد وافقت بعدما أكد لي أن الطعام ليس حساء ..

قال لي :

- « قصة آل (بيرتون) تتضخم .. »

- « اسف . تعرف أنني كنت في كهف في الفترة الماضية ، فما هذا الموضوع ؟ »

- « قضية صحفية كبرى . أربعة أطفال مشردون وأمههم وجدوا ميّين في سيارة يبيتون فيها قرب (كاييتول هول) .. هناك حيث يخططون للإصلاحات التي ستغذف أمهات أكثر إلى الشارع .. هذا جميل . لقد اتصلت بمجموعة من الناشطين لحضور جنازة هؤلاء اليوساء . سوف تصور الصحيفة أربعة نوابيت صغيرة وتكوناً كبيراً للام .. سيكون هذا رائعاً .. »

- « هذا يعني أن موتهم لم يمر هباء .. »

بما أنني محام فأتنى أتوقع شيئاً وراء أية دعوة لغداء أو عشاء . وقد رحبت أنساءل عما يريد

لكننى فوجئت بعد ذلك عندما عرفت من أسماء الموتى أن الأطفال وأمههم كانوا من هؤلاء الذين طردتهم شركتى من المستودع ، والذين وجدت أسماءهم فى المظروف الغامض .. لا يمكن أن أعلن هذا ، لأننى أعرفه بحكم عملى فى الشركة .. وهو نتيجة ثقة العميل بنا

قال لى (موريدخاى) ما كنت أتوقعه :

- « نحن بحاجة لمحام جديد يمضى عشر ساعات فى الأسبوع - نحتاج لمحام يجلب لنا بعض المال لأن المؤسسة تنهار . بقاونا يعتمد على ذلك . »

- « وما هى جوائب هذه الوظيفة .. ؟ »

- « محاماة الشوارع .. أنت رأيت العمل عندى (صوفيا) متنمرة و (أبراهام) جحش .. الزبائن راحتهم كريمة .. »

- « وكم تدفعون ؟ »

- « يمكن أن أعدك بشئين ألفا فى العام .. أنت متعلم وسيم تجيد كسب الناس وكل هذا انهرأء - لذا اعتقد أنك قادر على جلب بعض المال .. »

كنت أتوقع هذا العرض .. لكنى كنت خائفا .. لقد فتح لى بابا كنت أخشى أن أجتأله ..

قال لى :

- « أنت لا تفعل هذا من أجل المال على كل حال .. بل تفعله من أجل روحك .. »

روحي هى التى أبقستى ساهراً طيلة الليل .. هل بوسعى أن أرحل من شركة (دريك وسوينى) ؟

فى الواقع معنى رحيلى أن أقول الوداع للملايين .. كل ما حلمت به سوف يصير ذكريت باهتة ..

ربما كان الوقت مناسباً .. لقد فشل زواجى و كان الوقت لبعض التغيرات الدرامية على كل الجبهات ..

أحد عشر

أبلغت الشركة أنني مريض اليوم . « أعتقد أنها
الإنفلونزا .. »

لكن (بولى) كانت تريد تفاصيل .. حمى أم احتقان
فى الحلق أم صداع ؟ أم كل ما سبق ؟ لا يهم . سوف
نملاً نموذجاً ترسله لـ (رودلف) كما هى العادة فى هذه
الأمور ..

كان (رودلف مايرز) قد صار شريكاً فى سن
الثلاثين . كانت المحاماة هى كل حياته كما يمكن أن
تخبرك زوجاته الثلاث السابقات ولو استمرت حياته
كما يخطط لها فليسوف يصير أقدم شريك عامل ..
وفيما عدا هذا كان كل شىء يلمسه يتحول إلى
كارثة ..

كان فى انتظارى فى السادسة مساءً فى مكتبه .
وكان أكثر العميين قد انصرفوا .. أغقت الباب . وجنست
أمامه ، فقال لى :

- « حسبت أنك مريض .. »

قلت :

- « أنا راحل يا (رودلف) .. »

قلتها بشجاعة لكن معدتى كانت تعصر .

أزاح الكتب جانباً وأعاد غطاء قلمه الثمين . وقال :

- « أنا مصغ .. »

- « أنا راحل لى عرض بالعمل لدى شركة حمامة
معنية بالشؤون العامة .. »

- « لا تكن غيب يا (مايكل) .. لسوف تصير شريك
خلال ثلاثة أعوام .. »

- « أنا لست غيباً .. فقط تنقبت عرضاً لا بأس به .. »

- « لا يمكن أن تنهار لمجرد حادث كهذا .. لم يفعل
واحد من الرهائن مثلك .. »

- « هذا من حسن الحظ .. لكن هذا شأنى الخاص .. »

- « خذ إجازة لشهر .. اعمل مع المشردين لو أردت لكن عد .. هذا أسوأ وقت للرحيل »

- « لا أريد أن تكون هناك شبكة أمان تحتى يا (رودلف) . هذا يفقد الأمر متعته .. »

- « وماذا عن (كلير) ؟ »

لم يكن يعرفها ، وهو على كل حال آخر من يصلح
مستشار زواج فى الشركة ..

- « ستكون بخير .. أنا راحل للجمعة .. »

أغمض عينه ، وتنفس بعمق .. ثم قال :

- « لا أصدق ما أسمع .. »

اتصلت بـ (بولى) أخبرها ، لأنى لم أرد أن تكون آخر
من يعلم .. ثم ابتعت بعض الطعام التيلادى ، وعدت
لشقتى وبدأت أسمع مقاطع دورى الذى سأوديه ..

مع الأعوام تعلمت أنا و (كلير) فن تجاهل بعضنا
بدلاً من الشجار ..

كلفت الساعة العاشرة وكلفت قد تناولت عشاءها مبكراً ،
لذا ذهبت إلى المدفأة وأوقدت النار ، ثم جلسنا فى مقعدينا
المفضلين .. بعد دقائق ، قلت لها :

- « يجب أن نتكلم .. »

سألت بلا مبالاة :

- « ماذا هناك ؟ »

- « أفكر فى ترك (دريك وسوينى) .. »

- « حقاً ؟ »

وأعجبت ببرودها .. فأردفت :

- « أنا متاهب لتغيير . فجأة صر العمل فى هذه
المؤسسات الضخمة مملاً لى .. أريد عمل شئ يساعد
الناس .. لقد حكيت لك عن (موردخاى جرين) ..
الوظيفة عنده ، وسوف أبدأ الاثنين .. »

- « الاثنين ؟ إذن أنت اتخذت قرارك بالفعل دون ان
تطلب رأيي .. »

للحظة لمع الغضب فى عينها ثم تلاشى . كنت سيطرتها
على نفسها مذهلة ..

- « هل لى أن أعرف تأثير هذا على دخسنا ؟ »

- « سيؤثر الراتب ثلاثون ألف دولار فى العام »

- « ثلاثون ألفاً ؟ هذا أقل من راتبي انا »

ككل طالب مجنون فى البلاد كانت تؤكد عندما دخلت
عالم الطب أنها لا تريد المال . تريد أن تساعد البشرية .
كلنا كذبنا أو لم نفهم أنفسنا ..

كانت ترمى لئار ويبدو أنها تعيد الحسابات ابصار
الشقة ٢٤٠٠ دولار فى الشهر وهى شقة ممتازة
فاخرة .. لكننا لا نقيم فيها تقريباً ..

ما زلت مندهش من قلة ما ادخرناه من مال خلال
ست سنوات .. كان المال يبدو بلا نهاية ..

قالت :

- « أنا متعبة .. »

وأفرغت كأسها . ونهضت إلى غرفة النوم .

يا لتأثرها ! خطر لى أننا لم نعد نملك قدراً من
الصفينة يسمح بمشاجرة طيبة ..

بالتأكيد تحسبني جنت . لكنها لم تستطع أن تنقد
القديس الذى صرته . وضعت لوح خشب آخر فى
الموقد ، ونمت على الأريكة ..

اثنا عشر

على الغداء الفاخر الذى دعانى اليه (رودلف) قدم لى عرض الشركة السخى ، وهو أن تمنحنى الشركة إجازة لمدة سنة أمارس فيها مهنة الشوارع كما أريد . مقابل نفس الأجر الذى يمكن أن أتله من تلك المؤسسة الخيرية .. لا بد لشركتنا من أن تسهم فى إنقاذ الجوع بدورهم ، وبعد سنة أعود لها وقد أعدت شحن بطارياتى ..

كان العرض سخيا وناطع من النسير أن أرفضه . لذا طلبت مهلة للتفكير فى عدم الماضى حققت للشركة ٧٥٠ ألف دولار . لذا يدعونى للأكل فى هذه القاعة الفخرة ، وأصفى لخطتهم للاحتفاظ بى .

قبلت (هكتور) كاتب المحامى فى المكتبة بنطبق الثالث لم أرد أن أقبله مباشرة حتى لا يشع (شاتس) بشيء .. بعيدا عن كاميرات الأمن وأى شيء آخر ..

سألته بشكل مباشر :

- « هل أنت من وضع ذلك الملف على مكتبى ؟ »

لم يكن هناك وقت للأعاب .. نظرت لى وتلفت حوله كأنما هناك قناصة يطاردونى :

- « أى ملف ؟ »

- « ملف شركة (ريفر أوكس) الخاص بطرد المقيمين فى المستودع .. »

لم يكن يعرف مدى معلوماتى فظل ينظر لى فى حيرة ، فسألته :

- « أين الملف ؟ »

راح يقب الكتاب الذى يحمله كأنما هو مشغول جداً ، وقال :

- « (شاتس) يحتفظ بكل الملفات فى مكتبه . »

صرنا الآن نتكلم همسا .. بالفعل لو رانا أحد الآن لنقرر أننا بصدد أمر مريب ..

- « وما الموجود فى الملف ؟ »

- « لدى زوجة وأربعة أطفال ، ولست أبغى أن تطرد . أنت ستترك الشركة ولا يهملك الأمر .. »

الأنباء تنتقل هنا سريعاً .. ترى من الذى نقل انبأ لكل الشركة ؟ هل (رولف) ؟

« أريد هذا الملف .. »

« ليس عندي .. لو أردت أن تحصل عليه فعليك أن تسرقه .. »

« جميل .. وكيف أجد المفتاح ؟ »

« ليس معي .. »

« إذن من أين جئت بقائمة أسماء المطرودين ؟ »

نظر لى فى عدم فهم ، ثم قال :

« لا أعرف ما تتكلم عنه .. أنت مخبول تماماً . »

وابتعد .. توقعت أن يتوقف لكنه ابتعد . ابتعد حتى غادر المكتبة ..

أغلقت الباب ورحلت أرمق الغرفة .. أبتسم لكل شيء أتركه خلفي . وفى كل لحظة أشعر بأن الضغط يزول . لن أعمل ثانية والساعة تلف حول حلقى .. لن أعمل

٨٠ ساعة فى الأسبوع خشية أن يعمل زملائي ٨٥ . لا كوابيس بصدد أن تفوتنى فرصة أن أصير شريكاً .. اتصلت بـ (موردخاى) وأخبرته اننى اخترت العمل معه . فضحك وتندر على تدبير طريقة للإيفاق على .

عندما عدت للدار فى السادسة وجدت (كلير) جالسة إلى منضدة المطبخ ، وأمامها كومة من الأوراق والة حاسبة وأوراق حسابات الكمبيوتر ..

قالت لى فى برود :

« أقترح لظننى على أساس الاختلافات غير القابلة للتقريب نحن لا نشجر ولا نلوح بأصابعنا فى وجه بعض . لكننا متفقان على أن زواجنا انتهى »

وانطرت أن أقول شيئاً . ماذا عساي أقول بعد هذا ؟ ما بوسعى هو أن اكون بارداً مثلاً .. قلت لها :

« بالتأكيد .. »

وبن صيقتى أنها ترغب فى الطلاق أكثر منى . لقد طلبت رأى محام كذك لمعرفة مالها وما عليها ..

« ولماذا تحتاجين إلى رأى محام ؟ هل تعتقدين اننى قد أخدعت ؟ »

- « أريد أن أشعر بالحماية .. أنت محام لذا أريد أن يكون معى محام .. الأمر بسيط .. »

ثم قمت لى الحرز (أ) : بين بممتلكاتنا . والحرز (ب) :
طريقة مقترحة لتقسيم هذه الأملاك . وأدهشنى أنها لم
تقسم مناصفة بل اختصت نفسها بالجانب الأكبر ..

- « هذا التقسيم ليس عادلاً .. »

قالت فى ثقة :

- « وهذا طبيعى .. لأننى لست الشخص الذى يمر
بأزمة منتصف العمر .. أنت تريد أن تجن .. هذا
حقك .. لكن لا تتوقع منى أن أتصور جوفاً »

تمنيت أن أصرخ وأتساجر ، لكن هذا ليس بوسعى .
لا أستطيع أن أقذف الأشياء .. ولن نبكى . أى طلاق
هذا ؟ طلاق معقم غريب ..

الحرز (ح) : كان قائمة دقيقة لمحتويات البيت ..
المناشف وأغطية الفراش .. قلت لها .

- « خذى كل شيء تريدينه .. »

كنت أحتفظ بهذه الأشياء ليس للذة الاقتناء بل عن
كراهية لفكرة نقلها ..

سوف نوقع وثيقة انفصال .. وبعد ستة أشهر نذهب
إلى المحكمة لننهي للزيجة رسمياً ..

أخذت معطفى وخرجت أمشى فى شوارع
(جورج تاون) .. متسائلاً كيف تغير كل شيء بهذا
الشكل الدرامى . الأمور تتحرك بأسرع مما أستطيع أن
أوقفها ..

ثلاث عشر

لم تقبل الرءوس الكبرى فى الشركة ذلك العرض الذى قدمه (رودلف) بمنحى إجازة لمدة عام ، فهى سابقة خطيرة ، وقد خافوا أن تنهال عليهم المطالبات بمعاملة مماثلة

لكن لم يكن هذا الموضوع فى ذهنى وقتئذ ، فقد صرت مطلقا ووحيدا وبلا بيت كذلك .. سوف أبيع السيارة لأستغنى عن قسطها الذى يبلغ ٤٨٠ دولارا فى الشهر .. وقضيت أكثر الصباح أبحث عن شقة جيدة ، للأسف كانت أرخصها تكلف ١١٠٠ دولار فى الشهر ، وهذا سعر أعلى بكثير من قدرات محامى شوارع

عندما عدت للشركة ظهرا وجدت مظروفا آخر من المانيلا على مكتبى كن المظروف يحوى مفتاحين ، ومعهما مذكرة تقول : « المفتاح الأول لمكتب (تشارس) الثانى لخزانة المنفقات الدرج تحت النافذة . نسخ المنفقات ثم أعدها للشركة لأن (تشارس) من النوع كثير الربية .. »

ها ظهرت (بولى) فجأة كعادتها . لا قرعت على الباب ولا صوت . وابتدأ تظهر فجأة كشبح كانت قد عمت معى أربع سنوات . ولم تكن علاقتنا لصيقة لهذا الحد .. سرعان ما يتم تعيينها فى مكان آخر

لم أدر إن كانت لاحظت المظروف أم لا ، لكنها تشبعت بوضع حاجياتى فى صندوقين من الورق المقوى وتساءلت عن الذى وضع المظروف كيف استطاع أن يمر لمكتبى أمام سمعها وبصرها ؟

أغقت الباب ورحت أتأمل المظروف لأقرر ما يجب عمله به . كنت قد افترضت أشياء : أولاً ، أن المفتاح صحيح . ثانياً ، هذا ليس مقب . ثالثاً ، الملف فى المكتب فعلاً . رابعاً ، يسعى سرقة دون أن يقبض على خامساً ، يمكن نسخه فى وقت قصير . سادساً ، يمكن أعدته سابعاً ، - والاهم - من الواضح ان فيه دليلا كرتيا . كل هذا سهل لكن نسخه هو التحدى الحقيقى . لا يوجد فى شركتنا ملف تقل صفحاته عن مائة ، ومعنى هذا أن على أن أقبض أمام آلة تصوير المستندات بفترة طويلة معرضا للكشف . ثم إن

المحاميين لا يصورون وإنما تفعل ذلك السكرتيرات ..
 وآلة التصوير معقدة عالية التقنية جاهزة كي تنحسر
 فيها الورقة لحظة ضغط الزر فتكون الفضيحة ، دعك
 من أنها مزودة بعداد يسمح بخروج فاتورة للعميل .
 يجب أن أخرج من الشركة بالملف .. وهذه جريمة ..

على كل حال دخلت قسم العقارات فى الرابعة ، وقد
 شمعت كفى ، ومعى كومة ملفات كأن لدى عملاً خطيراً
 هناك .. كان (تشاس) هناك وبابه موارب بينما صوته
 يدوى عبر الهاتف .. لم تكن هناك كاميرات أمن تراقب من
 أعلى .. من ذا الذى يفكر فى سرقة شيء من قسم
 العقارات ؟

غادرت فى الخامسة فابتعت شطائر ، واتجهت لمكتبى
 الجديد ..

شركائى كانوا هناك .. وقد خرج (مورديخاى) مرحباً
 ليبربنى مكتبى الجديد .. كان فى نصف حجم هذا الذى
 غادرته ، وهناك خزنة ملفات جوار الجدار . لم يكن هناك

هاتف .. هناك آلة تصوير مستندات من طراز الثمانيات
 العتيق . ليست فيها بهرجة آلات شركتى السابقة ..

ناولنى (مورديخاى) حلقة بها ثلاثة مفاتيح ، وقال
 لى : إن بوسعى أن أتى متى أردت .. لكن .

- « كن حذراً .. أوقف سيارتك أمام الباب بالضبط ..
 امش لها بسرعة ، ثم أغلق الباب عليك فوراً ! »

لأبد أن الخوف بدا فى عيني ، فقال :

- « سوف تعاد هذا .. كن ذكياً .. »

فى السادسة والنصف عدت لسيارتى .. لم يتحرش
 بى أحد .. لم ألق رصاصة ولم تخدش سيارتى .. ربما
 كان بوسعى أن أعيش فى هذا العالم .

استغرقت إحدى عشرة دقيقة للعودة إلى الشركة ..
 نو افترضنا أن نسخ الملفات يستغرق نصف ساعة ..
 إذن سيظل المنف خارج الخزنة ساعة كاملة ..

فى الثامنة مساء عدت لقسم العقارات متظاهراً بأننى
 مشغول جداً .. لم يكن هناك أحد فى مكتب (تشاس) ثم
 تفقت كن المكتب وقرعت الأبواب .. بحثت عن الكاميرات ..

فتحت مكتب (تشانس) ووقفت في الظلام لا أعرف إن كان يسمى أن أصيء النور أم لا . ثم مر شخص بالبنية فمن العسير أن يحدد الضوء في أي مكتب .. ثم إن الظلام دامس ، وليس معي كشاف .

أغلقت الباب وأضأت الانوار بحثت بين المنفات حتى وجدت دسنة منها كتب تحمض عنوان (ريفر أوكس) (تشانس) وسكرتيرته منتظمن .

بدأت أفش في منف غليظ . أردت أن أتأكد من أنه الملف المطلوب ..

فجأة سمعت صوت رجل يصيح في العمر .

« هيه ! »

وثبت داخل جندي .. ثم جاء صوت رجل آخر وبدأت محادثة .. محادثة عن كرة السلة ..

مشيت للباب يقدمين من مطط وأضأت النور ثم جلست على أريكة (تشانس) أخذت عشر دقائق ثم روني أخرج من الباب والمنف ليس معي فلا شيء ضدي .. إن غدا يومى الأخير فى الشركة على كل حال . اما لو راونى والملف معي فهي نهايتى ..

بدأت الأصوات تخفت ، فأغقت الدرج وأخذت المنف

سبع دقائق . ثم تسع ..

فتحت الباب ونظرت عبر الردهة . لا أحد مشيت خراجا من المنطقة . والمنف معي وأنا أظاهر بأننى طبعى

« هيه ! »

سمعت صوت من خلفى فاستدريت عبر المنعطف ، وحضت على نعمة مما يحرقى خلفى فرأيت رجلا يحاول التحديق بى . وجدت مكتب مفتوحا فدخلته على الفور .. كانت مكتبة صغيرة ، فمشيت بين الأرفف حتى وجدت بابا يقود للناحية الأخرى ..

وجدت مخرج ودرجات تهبط لأسفل فرحت أركض . بلغت التطبيق الأرضى بلا معطف .. الطقس بارد بنخارج لدرجة التحمض فركضت إلى السيارة .

قلت وأنا أجلس على حافة المحفة :

- « أنا بخير .. »

وبذ حملوني لسيارة الإسعاف رأيت (الجاجوار) مقلوبة
يحيط بها رجال الشرطة والناس .. أخذوني إلى
الطوارئ في مركز (جورج واشنطن) . وحققوني
بالمسكنات .. صحوت في وقت ما من الليل لأجد
(كبير) تنام على مقعد جوار الفراش ..

١٠٦ روايات عالمية .. (محلى الشوارع)

لماذا جريت من ذلك الشخص ؟ هو لم يرني أغادر
مكتب (تشاتس) .. كان يوسعى أن ألبى نداءه وأثرثر
معه .. ولو أراد أن يرى الملف لصرفته مازحاً .. ترى
هل عرفنى ؟ لماذا نادانى بهذه الطريقة لو عرفنى ؟
على كل حال قدت سيارتى ..

كان من المستحيل على أن أعرف أن هناك عملية
تهريب مخدرات قد ضبطتها الشرطة ، وأن شرطياً
أصيب بالرصاص ، وأن سيارة (جاجوار) خاصة
بتاجر المخدرات تندفع عبر الشارع الثامن عشر .

كان الضوء الأخضر يسمح لى بالمرور لكن الفقية
الذين أصابوا الشرطى لم يبالوا بقواعد المرور ، وفجأة
لمحت الجاجوار كأنها طيف ثم انفخ كيس الهواء
الواقى من الصدمات فى وجهي . حينما استعدت رشدى
كان الباب الأيسر يضغط على كتفى ووجوه سود تحرق
فى عبر الزجاج المحطم سمعت صفارات إنذار ثم
غبت عن الوعي ..

فك أحد المسعفين حزام الأمان عني ، وسألتنى إن
كان يوسعى المشى .

أربع عشر

رحلت (كير) قبل العجر . وقالت لى مدكرة نظيفة جوار الفراش إن عليها نقيام بتمرور الصباحى . وانها ستعود فى منتصف النهار .. لقد تكلمت مع الأطباء ومن المحتمل انى نأ موت هكذا ظهرنا امام الناس زوجين متعطفين متحسين . نأ يتخيل احد أنأ تنهى اجراءات الطلاق ..

مرحباً بك فى شوارع واشنطن الفقيرة

الحقيقة كى تواجدى فى هذا الركن من المدينة بعد الظلام معناه الانتحار ..

ضلوعى تؤلمنى عند الفس و زراعى زرقاء مستفخة ، ورأيت وجهى فى المرآة وقد صرت له ملامح جديدة لا شىء حطير سيزور كن هذا على نهاية لأسبوع

جيت لى الممرضة ببعض الاشرار فرفضتها لا اريد مسكات لأسى أريد أن احتفظ بذهن صاف

أجريت بعض الاصلوات فعرفت من سكرتيرة فى إدارة المرور أن اسيرات المحطمة تنقل إلى ارض

خلاء فى طريق (راسكو) فى الشمال الغربى .. هكذا اتصلت بـ (موردخاى) لأسأله عن طريقة العثور على سيارة محطمة وعد بأنه سيبحث ويتصل بى ..

عند الظهر جاءت (كير) فتحدثت مع طبيبى الذى سمح لى بالرحيل . وسرعان ما كانت توصلنى بسيارتها للبيت حيث اعدت لى حساء طماطم ثم تصرفت عادة لعملها .

عرفت مكان سيرتى عن طريق (موردخاى) فتجهت إلى هناك بوسطية سيارة أجرة قميت باستئجارها هاتف عرفت السيرة (الكساس) عندما وقفت خلف السنك الشاتك أرمى السيارات المحطمة المكومة فوق بعضها لقد اضر التصادم جانبى الأيسر . قال لى السائق عندما رأى المشهد :

« أنت رجل محفوظ فعلاً »

لكننا لم نستطع الدخول كان هناك مكتب لكنه مغلق . والبوابات مغلقة بجيزير ثقيل . هكذا طلبت منه الذهاب إلى شركة لتأجير السيارات .

عدت لدارى لاتاول آخر وجبة لى مع (كير) باعتبارنا زوج وزوجة قدمت لى الطعام ثم سالتنى :

- « هل تعرف من يدعى (هكتور بالما) ؟ »

ابتلعت الطعام بصعوبة ، ثم سألتها :

- « ما شأنه ؟ »

- « اتصل بك عدة مرات .. من هو ؟ »

- « موظف في الشركة كن عسى أن أعاونه .. إنه

في ورطة »

- « هذا أكيد إنه يريد لقاءك في بار يدعى (نلتان)

في تقاطع شارعى (إس) و (إم) التاسعة مساء .. »

- « ولماذا بار ؟ »

- « لم يقل .. هل هذا قريب ؟ »

تلاشت شهيتى لكنى واصلت الأكل كى أبدو طبيعياً

أمامها ..

مشيت في شارع (ام) من دون سيارتى لأن إيجاد

مكان لإيقاف سيارة مستحيل مساء الجمعة . دعك من

حاجتى إلى تحريك عضلاتى ..

لا يمكن أن يعنى هذا اللقاء إلا المتاعب .. فكرت فى

أكاذيب أبرر بها تصرفاتى وأكاذيب أبرر بها الأكاذيب ..

من الممكن أن يكون (هكتور) يحمل أجهزة تنصت

الآن .. سوف أصفى ولا أتكلم ..

كان البار نصف خال وقد جئت قبل موعدى بعشر

دقائق . لكنه كان هناك ينتظرنى .. وثب وصافحنى فى

حرارة كأنه لم يرنى من قبل .. ودعانى إلى الجلوس ..

- « ماذا حدث لوجهك ؟ »

- « قبئت كيس هوا .. »

- « نعم .. سمعت عن الحادث . يبدو أن الآخر قد

مات .. تاجر مخدرات هو . أليس كذلك ؟ »

- « بلى .. »

ولاحظت أنه يتحكم فى المحادثة تحكف كاملاً وأن

ردوده تأتى أسرع من أسننتى . جاء الساقى فسألتنى

عما أرب فى شربه فطلبت قهوة سادة . هنا شعرت

بقدمه تركل قدمى تحت المنضدة . وعندما وقف

الساقى بيننا ليحجبنا عن الرؤية رأيت (هكتور) يرفع

سياطته ويشير إلى صدره ..

إذن هو يحمل جهاز تنصت وهم يراقبونه كذلك
هذا يفسر تحيته الحارة كأننا لم نلتق قط ..

قال لى :

- « أنا كاتب فى قسم العقارات .. لابد أنك قبلت
(برادن تشانس) محامينا .. لقد التقينا مرة عابرة
عندما زرت مكتبه منذ أسبوع .. »

- « هذا صحيح .. »

بما أننى مراقب فمن الخير ألا أتكم إلا بمقدار ثم
أضفت :

- « فى الحقيقة أذكر الموقف لكن لا أذكر وجهك .. »

غمرت وجهه ابتسامة خفيفة ولمست قدمه قدمي
نحن نرقص على اللحن ذاته ..

- « سبب لقائنا هو أن هناك ملفاً فقد من مكتب
(تشانس) .. »

- « وهل أنا المتهم ؟ »

- « لا .. لكنهم يشتبهون بك .. انه نفس الملف الذى
صلبته من (تشانس) وكنت تتشاجر بسببه .. الشركة
تحقق مع كل شخص يمكن أن يخطر بباليها .. »

- « إذن لا علاقة لى بالأمر ، فلا يمكن أن أسرق
ملفاً من زميل .. »

- « هل تعلم أن تخضع لجهاز كشف الكذب ؟ »

طبعاً .. قنيتها وأنا أعرف أنه لا توجد قوة على
الأرض ترغمنى على الخضوع لجهاز كشف الكذب ..

- « هم كذلك يأخذون البصمات .. »

لم يخطر لى هذا بصماتى على مفتاح السور
والخزانة و .. كل شيء .. على كل حال قررت أن أكون
عنيفاً ، لذا قلت :

- « لا أحب طريقتك .. لو كنت تتهمنى بشيء فتفعل ..
أذهب الى رجال الشرطة وأخبرهم بكل شيء .. هذه
جريمة سرقة .. فن من واجبك أن تقبض على السارق .. »

قال :

- « هناك كنتك منف وجيشاه فى مكتبك .. ثمة شخص
قال لك إنه أرسل لك مفتاحين لخزانة (تشانس) ! »

كانت آثارى تتسع .. لقد تدربت كي أكون محامياً
لألصاً .. ويبدو أن الموضوع أعقد مما تصورت .. لقد
وصلتني الرسالة على كل حال . الشركة تريد الملف ..
بما فيه .. وهى تعرف يقيناً أننى من أخذه ..

نهضت معلناً نيتى فى الانصراف فسالني :

- « متى تجتاز اختبار كشف الكذب ؟ »

- « سوف أتصل بك »

خمس عشر

عن طريق علاقات (موردخاى) وشرطى يدعى
(بولى) تمكنت أخيراً من الوصول إلى سيارتى فى تلك
الساحة التى أنقوها فيها .. دخلت إلى الحطام وبحثت
عن الملف .. لم أجده للحظة مرعبة ، ثم مددت يدي
تحت المقعد الأمامى فوجدته .. وضعته تحت إبطى كأنه
من ذهب ..

فتلنى الشرطى الذى يحرس السيارات المحطمة . قال :

- « تعال معى .. »

وفى الداخل دون مواصفات المظروف والمكتوب عليه
بدقة .. لديه الآن كل ما يثبت أننى أخذت مظروفاً بهذه
المواصفات من حطام سيارتى .. آثارى تزداد اتساعاً ..

لم يكن (موردخاى) يعرف عن الملف إلا أنه مهم ..

كنت متلهفاً على تصفح الملف لكنى قاومت ذلك حتى
أصير وحدى فى شقتى الجديدة ..

كانت شركة (ريفر أوكس) تتباع كل العقارات الرخيصة في المنطقة المتهالكة من المدينة .. وكانت شركة TAG شركة مربية غير مسجلة بشكل قانوني ، يديرها من يدعى (تلهان جيتري) الذي يصفه المنف بانه قواد سابق قض عليه مرتين من قبل . امثله كثيرون في هذه المدينة .. بعد اعتزاله الجريمة قرر ان يتاجر في العقارات والسيارات المستعملة . بدأ يتباع العقارات المهجورة ويؤجرها .. المنفات تظهر أربعة عشر عقاراً ملك هذا الرجل ..

هنا يلتقى طريق الرجل بشركة (ريفر أوكس) حينما احتاجت هيئة البريد لمساحات إضافية . وقد أسندت مهمة للحصول على أرض إلى شركة (ريفر أوكس) وهناك عقد مرفق بمليون دولار ونصف مضمونة الدفع سنوياً لمدة ٢٠ عاماً . بشرط توقيع العقد النهائي قبل ١ مارس وإلا اعتبر الاتفاق ملغياً ..

على الفور انطلقت شركة (ريفر أوكس) لتعمل ابتعت أربع منكبات في المنطقة قرب المستودع الذي يعيش فيه أولئك اللاجئين . لقد اقترب الأول من مارس فلم يعد باقياً إلا أسبوع .

الآن افهم لماذا اكتشف (تشاس) اختفاء الملف بهذه السرعة . لقد كان يتعامل معه يوماً بيوم ..

استمرت TAG المستودع في يونيو الماضي بمبلغ غير منكور في الأوراق ثم اشترته منها شركة (ريفر أوكس) بمائتي ألف دولار قبل تنفيذ حكم الطرد بأربعة أيام ..

كنت قد فرست الأوراق على الأرض ورحت أدرس كل ورقة ، واقوم بتدوين ما فيها في مذكرة صغيرة توطئة لأعدتها إلى موضعها الدقيق من الملف . كل شيء مرتب ومفهرس بدقة كم عملونا في الشركة . حيث كل وثيقة لا يمكن العثور عليها في ثلاثين ثانية لا قيمة لها ..

بمساعدة رجل شرطة و (فتوت) من شركة خاصة توجه (هكتور بلت) إلى المستودع لإخلائه ممن فيه . كان هذا يحتاج إلى شجاعة غير عادية ، وكما كتب (هكتور) : « كنت الأم تدم على الأرض مع أطفالها الأربعة ومنهم رضيع . قاتلت رجل الشرطة وفي النهاية استطعنا اخراجها .. »

كانت قائمة المطرودين حوالى سبعة عشر باستثناء
الأطفال .. نفس القائمة التى وضعها ذلك المجهول على
مكتبى .. لم تكن هناك إخطارات بالطرد ؛ لأن الشركة اعتبرت
هؤلاء متسللين أو مقيمين بوضع اليد ، وواضعو اليد
لا حقوق لهم ..

هذا الملف مسروق .. والسارق أحرق لأن الأدلة ضده
تتكوم فى هذه اللحظة .. لقد أخذوا بصماتى عندما التحقت
بالشركة ولن يكون صعبا مضاهاتها بالبصمات فى خزانة
(تشانس) .. بل أنا أعرف أن هذا تم ..

ترى هل حصلوا على أمر باعتقالى ؟

ستة عشر

لم يكن مكتبى الجديد يشبه فى شيء مكتبى فى
شركة (سوينى) .. المكتب نفسه عبارة عن منضدة
صغيرة بالتأكد ابتاعوها من مدرسة قديمة . لها ثلاثة
أدراج لكنها تفتح بصعوبة .. المقعد من الطراز الذى
يستأجرونه للحفلات ، ولا يمت بصلة لمقعدى القديم
الجلدى الدوار المريح .. جدران الغرفة بحاجة إلى
طلاء ، والتدفئة سيئة جداً ..

دوت دقة على الباب أثارت هلعى ، فتساءلت عما إذا
كانت عصابات الشارع قد لاحقتنى إلى هنا .. نظرت
عبر الزجاج المصنفر للباب فرأيت ملامح مألوفة .. إنه
(بارى نوتسو) صديقى القديم . كان يرتجف ويتوق
للدخول إلى الأمان بالداخل ..

فتحت له الباب ، فدخل وهو يصيح :

« يا له من وكر ! »

يبدو أن الأمر بدا له مسلياً .. نزع قفازيه ومشى إلى
حيث أريكة (صوفيا) .. قلت له :

- « هناك ملف مهم مفقود يا (مايكل) والجميع يشير نحوه .. »

- « هل أرسلتك الشركة ؟ »

- « طبعا لا .. »

صدقته . فنحن صديقان منذ سبع سنوات برغم أننا
ك أكثر انشغالا من أن نمارس الصداقة فعلاً ..

واصل الكلام :

- « الملف يتعلق بـ (مستر) . أنت قابلت (شاتس)
وطبعت الملف ثم شوهدت تتسكع قرب مكتبه ..
بصماتك في كل مكان في الغرفة والخزانة . أنت أخذت
الملف يا (مايكل) .. »

- « ماذا تعرفه عن هذا الملف ؟ »

- « لا أعرف شيئا إلا أنه يتعلق بـ (مستر) وأنت
أخذته . كلاب الشركة الكبرى تبحث عنك . وقد حرموا
عني الاتصال بك . أنا هنا برغم أوامرهم .. »

- « لن أبقى بك على كل حال . »

١٢٠ روايات عالمية .. (محامي الشوارع)

- « نحن نبقى مصاريقنا محفوظة كي نأخذ معنا كل
المال للبيت . »

قال وهو مستمتع بكل هذا :

- « أنت جئت بلا شك . هل بدأت تسمع أصواتنا ؟ »

- « هل جئت هنا كي تقول لي هذا الكلام ؟ »

- « لقد اتصنت بـ (كلير) وكلمتني عن الطلاق

ثم ماذا حدث لوجهك ؟ »

قطعت سائلا إن كان يرغب في قهوة وودت
الابصحينى إلى المطبخ لأن هذا مشهد لا يجب أن
يراه .. وجدت قدحا فغسنته وملأته بنقهوة وبسرعة
عدت له . كان يتفحص الحجرة ثم قال لي .

- « هل هذا ما كنت تحنم به في مدرسة القاتون ؟ »

وفجأة انتهى المزاح . نظر لي في جدية وبرغم قسوة
الفكرة فإبنتى تساءلت عما إذا كان يحمل جهاز تنصت هو
الآخر .. بوسعهم هذا وهو لن يتطوع لهذه المهمة
لكنهم قادرون على إجباره . لقد صرت العدو الآن .

- « اسمع يا (مايكل) .. أنا متأكد من أن كل شيء يمكن إصلاحه . أعد الملف وسوف أقابل مديري الشركة وأجعلهم يصفحون فينسون .. ثم أخذ إجازة معك لمدة أسبوعين نلعب فيهما التنس ونعود كأن شيئا لم يكن . »

- « هل أنت متأكد من أنهم لم يرسلوك لتقول لى هذا ؟ »

- « لا وأقسم على هذا .. »

- « إذن هذه الفكرة لا تصلح .. هناك فارق بين أن تكون محامياً وأن تكون بائعة هوى تتقاضى أجرها بالساعة .. لقد دخلنا هذه المهنة لأننا حسبنا القاتون قيمة عظمى .. يمكنك محاربة فساد المجتمع كله بالقاتون .. كنا مثاليين وقتها .. فتماذا لا نعود كما كنا ؟ »

- « أقساط المسكن ! »

- « لم أطلب بتجنيدك معي . من حسن الحظ أنتى بلا أطفال .. لى ترف أن أكون بطلا بعض الوقت . »

راح ينظر إلى جهاز التدفئة وهو يأمل أن يبعث بعض الحرارة ، ثم قال :

- « لا يمكنك الاحتفاظ بهذا الملف يا (مايكل) .. إنهم مجتنبون كالبحيم .. من حق العميل أن يبقى ملفه فى السر ويعامل بسرية تامة . ومعنى هذا أنهم سيقاضونك .. »

- « لدى الشركة ما تخسره أكثر منى .. إن هذا الملف خطر عليهم »

نظر لى فى دهشة فهو فعلاً لا يعرف محتوى الملف ، ثم قال :

- « حتى لو كان هذا صحيحاً فليس بوسعك استعمال ملف مسروق فى المحكمة .. ربما نستطيع أن أرتب لك لقاء فى غرفة موصدة مع (آرثر) .. نوعاً من الهدنة .. »

- « فات وقت ذلك . هناك أناس تجمدوا من البرد فى الطرقات .. »

ثم قررت تغيير موضوع الحديث فدعوته إلى جولة فى المكتب ..

وعندما افترقا بعد قليل طُلب منى أن اتصل به من حين لآخر ، فأكدت له ذلك ..

سبع عشر

في الصباح ذهبت مع (موردخاي) إلى المنج المدعو (بيت السامري)، حيث قابلت طوفان من المترددين الذين يريدون رأسي القاتوني أغنهم قال اسفاته لا يستطيع أن يدفع لي معظم القضايا تتعلق بتوقف الإعانت الحكومية أو بونات التعديّة أو موظفة تركت العمل وأرسلت لها شركتها شيك لم يصلها لأنها بلا عنوان رجل أدمنت زوجته المخدرات فاحترقت البغاء وقادته إلى الأفلاس قصص جعلتني أود تقبيل قدم (كلير) الآن ..

لم أتصور هذا الكد من العمل يا عشاري محامي شوارع . وكنت قد ارتديت ثيابا غير مهذمة وكلفت عن حق لحيتي مم راق له (موردخاي) أنا الآن محامي شوارع فلا يهم مظهرى . ومن حسن حظي انى اعتدت ادمس العمل لذا نم يشكل لي هذا الكد الكبير من القضايا مشكّة

عند الظهر عدت لى مكتب (موردخاي) وحسب لى (صوفيا) جهاز هاتف يعمل . كان تحت كومة من

الملفات ، ففقت بتوصيله وكان أول ما فعلته أن اتصلت بشركة (سويني) طابا الاتصال بـ (هكتور بالما) .. أبقتنى السكرتيرة انتظر على السماعه . ثم جاء صوت خشن يقول :

- « أنا (برادن تشانس) . هل لى أن أساعدك ؟ »

غيرت صوتى بسرعة وتمايلت نفسى وقلت

- « أنا صديق قديم لـ (هكتور بالما) من أيام المدرسة .. هل لى أن أكلمه ؟ »

قال فى بساطة :

- « (هكتور بالما) لم يعد يعمل هنا »

وضعت السماعة ورأسى يدور . فكرت أن أتصل بـ (بونى) سكرتيرتى السابقة لأتأكد من صحة هذا الخبر . ربما لو ظنيت (بارى) أو (رونف) . ثم تذكرت ان هؤلاء حميفاء يعولوا أصدقائى .. لقد رحلت لقد صرت العو ..

لم اعتقد أن الشركة غيبية بحيث تفصل (بالما) . اعتقد أنها بقتت لى فرع آخر بعيد براتب أعلى . هكذا تضمن صمته وتخلص منه فى الوقت ذاته ..

- « شرطة !! »

فتحت الباب وتراجعت في ذعر بينما افتحه أربعة رجال . اثنان منهم بالزى الرسمي .. وكانوا يتصرفون كأن حياة إنسان في خطر .. وصاح بها أحدهم :

- « تراجعى ! »

وكانت عاجزة عن الكلام .. قال قائدهم الملازم (جاسكو) وهو يخرج أوراقا من جيبه :

- « هل أنت (كلير بروك) ؟ »

وهو يمثل (كولومبو) بطريق سيرة .. فهزت رأسها أن نعم ..

- « أين (مايكل بروك) ؟ »

- « لم يعد يعيش هنا .. »

كان من المستحيل أن يصدق الرجل هذا ، لذا أخرج ورقة وقال :

- « معى إذن تفتيش من القاضى (كيزنر) استخرجه الساعة الخامسة بعد الظهر .. »

١٢٦ روايات عالمية .. (محلى الشوارع)

لم أكن متلهفا على العودة لدارى الجديدة بعد انتهاء العمل .. غرفة نوم بلا فراش .. مطبخ بلا ثلاجة .. تلفزيون بلا كابل .. إن المقولة القديمة التى تقول إن القانون حبيبة غيور صادقة معى جدا .. فلم يعد القانون إلا كل ما أمنكه فى الحياة ..

انصرفت (صوفيا) مبكرا كعادتها لأنها تعيش فى منطقة خطيرة وهى تفضل أن تغلق الأبواب عليها ليلا .. وقد نصحتنى (موردخاى) بالألا تأخر .. أوقف السيارة قريبا .. يجب أن نكون اثنين عند الانصراف . امش بسرعة .. راقب كل شىء ..

- « نحن سعداء بوجودك .. كنا بحاجة إلى رجل أبيض wasp هنا .. »

- « إذن لى للشرف أن أكون رمزا .. »

انتظر رجال الشرطة حتى الواحدة صباحا ثم هجموا كرجال الكوماندوز . ودقوا الباب بعنف .. ولم تجد (كلير) وقتا لاستجماع أفكارها .. وضعت شيئا على منامتها بينما هم يوشكون على تهشيم الباب ..

ورفع الأوراق لتراها ، كأنها يمكن أن تستوعب ما فيها فى ساعة كهذه ..

- « عم تبحثون ؟ »

- « هذا فى الأوراق .. »

واندفع الرجال يفتشون الشقة ..

كنت نائم على الأرض فى شقتى فى ذلك الوقت منذ جئت هذه الشقة اكل قليلاً وأدم أقبل .. لكنى أحمد الله على أننى على الأقل أملك جدراناً وسقفاً وتدفئة ومهنة وأعرف أننى سجد طعام غد .. هذا يخفف عن البؤساء الذين أعمال لهم .

دق جرس الهاتف المحمول فرفعته لأسمع (كلير) تقول همساً :

- « (مايكل) رجال الشرطة يفتشون الدار . »

- « ماذا ؟ »

- « معهم إذن تفيتش . ويقولون إنهم يبحثون عن ملف .. »

- « سأكون عندك خلال عشر دقائق .. »

هكذا اندفعت لى الشقة كنسى تحت الاستحواذ . وكان (جاسكو) أول من قابلت .. فصحت :

- « أنا (مايكل بروث) من نسّم بحق الحديد ؟ أريد أن أرى أوراقكم .. »

أخرج الشرة من جيبه ورفعها لأمكن من رؤيتها قلت فى تحد :

- « (لارى جاسكو) أنت أول من سارفع عليه قضية فى عشرة صباح عد من معك ؟ »

قالت (كلير) :

- « معه ثلاثة وهم فى غرفة النوم الآن »

دخلت غرفة النوم لأجد شرطياً على أربع ينظر تحت الفراش فصحت فيه :

- « أرنى أوراقك أيها الأحمق .. »

أخرج شلته فنظرت فيها ، وقلت :

- « (داريل كلارك) .. المتهم الثانى .. »

قال فى برود :

- « ليس بوسطك مقاضاتى .. »

- « حربى ايها الصبي الكسير . سوف أطلب منك تعويض فى المحكمة بمئوب دولار لتفتيش غير التفتونى . وسوف اكسبها عندها سأحعبك تشهر إقلاست . »

وطلبت من (كير) أن يحضر كنميرا لتفتيشو لتصور المشهد ، ثم قلت لهم :

- « سوف تحكمون وتضردون من الخدمة ، غنيا بلا معاش التفتيش غير قاتونى ومن أعطاكم الآن سبحانهكم هى أخبرتكم أنى لا أعيش هه وبرغم هذا واصلتم التفتيش عند هذه النقطة صار ما تقومون به غير قانونى كال عنكم التوقف لكم لم تقاوموا لذة العبث بالملتمكات الشخصية للآخرين »

تظاهروا بالامبالاة ، لكنهم كانوا خائفين أنا محام فلا بد أنى أعرف ما تتكلم عنه لم اكن كذلك لكنى بدوت مقف كنت متسى فوق حنيد قانونى رفيع لعدية

سألتنى (جاسكو) :

- « أين الملف ؟ »

- « نصف ليس هه لانى لا عيش هه وسه سوف أقاضيكم .. والآن لم لا تتصرفون ؟ »

- « عينة نوقت يفصوسا فلا مستكة هه »

وكانت (كير) تصور هه فهد بحسروا على قول هه هو كثر وسرعان ما كانوا يتجهون لى نسب وغنغد حدم بصوت حفص بعبارات مسبب صمد لمحامين الذين يتحكون فى كل شىء

وقفت أقرا ان التفتيش سينما (كير) ترشف نفهوه وقد استعدت برؤدهم لن تظهر مسمى بمشهر نصف اب . ولما لن بطور لى لها بحاجة لى

- « هل ستقاضيهم فعلا ؟ »

- « لا .. لكنهم لن يعودوا ثانية .. »

- « وما موضوع هذا الملف ؟ »

- « قصة طويلة هى .. »

كنت أعرف بها غير مهنة فقط تربت الاخصس إلى أنهم لن يعودوا .. سألتها :

« هل أخبرتهم بمكان إقامتى ؟ »

« أنا لا أعرف مكان إقامتك ! »

وانصرفت بلا كلمة أخرى أو بـ كلمة توحى
بالاشتماء وكان هذا ما تريد بنصط

ثمانى عشر

فى الصباح اخبرت (موردخاى) بالقصة كلها
موضوع الملف وكل هذه التفاصيل التى يسمعا لأول
مرة تمنى أن يصفنى بالجحش لكن علاقته به لم
تبلغ هذا الحد ..

كنت أنه اننى لم أجد حتى هذه اللحظة السبب الذى
يجعل الملف مهم لهذه الدرجة .. لكننى كنت نظرية
معتونة هى أن شركتى السابقة طردت هؤلاء المشردين
من المستودع برغم أنهم يدفعون اجارا قدره مائة دولار
فى الشهر . كانوا مستاجرين لهم كافة حقوق المستاجر
القانونية . لكنهم غامتهم كواصفى يد . والسبب هو أنه
لا وقت لتأجيرات قانونية لأن الصفقة توشك على
النضاج من (ريفر أوكس) هناك ورقة معينة تثبت
أن (تيمس) عرف أن هؤلاء القوم مستاحرون وليسوا
مستأجرين . لكنه اخذهم ولم يضعهم فى الملف
النسب هو حجة الشرعية الماسة الى الاستيلاء على
المستودع قبل فوات الأوان .

قال (موردخاى) :

- « المالك السابق للعقار - تلك البطجى - يعطى امكن
لهؤلاء اليوساء ويحذ منهم ايجرا . لكنه لا يبيع الحكومة
بشيء عندهم كى لا يتزرم بشيء هكذا تعلمهم الحكومة
كمتسللين .. هذا يحدث طيلة الوقت .. »

كن من رايه ان علينا ان نضع خطة محكمة ..
لو استطعنا ان نجر (ريفر أوكس) وشركتى السابقة
للمحكمة . نكونت المحكمة صاخبة . وسوف تعيد
اهتمام الإعلام بالمشردين ..

عندما صرت وحدى اتصلت بصديقى (سارى نوتسو)
وطلبت منه ان يقبلنى عند تقاطع شارعى (ك)
(كونكتيكات) ..

- « ساكون عندك بعد ساعة .. »

- « بل الآن أو لنص الأمر .. »

لم ارد ان امسح هؤلاء النصبية وقتا لرسم خطة
لا أريد منحهم وقت لدس أجهزة تنصت كنت ..

- « أنا فى مقهى (بنجر) . سانتظرك وتعال
وحدك .. »

- « أنت تشاهد الكثير من الأفلام مؤخرًا . »

بعد عشر دقائق كنا نجلس فى ذلك المقهى الصغير
المزدحم ، نحسبى القهوة الساخنة ونراقب رحام المرور ..
سأته .

- « لماذا طلب التفريش ؟ »

- « إنه منقنا ونحن نريد استرحاغه هذا بسيط
أين تعيش الآن ؟ »

ضحكت سخرا بما معناه (ما هذا لكاء ؟) . ثم قلت .

- « امر الاعتقال يصدر بعد امر التفريش . هل هذا
هو السيناريو المتوقع ؟ »

قال :

- « اسمع يا (مايكل) .. فتنبدأ من متطلق أنك مخطئ ..
أنت أخذت شيئا ليس لك وهذه سرقة الأمر بسيط كما
ترى .. أنا صديقك لكنى ما زلت أعمل لدى الشركة
فلا تتوقع أن أساعدك . أنت من وضعا فى هذا الموقف
لأنا .. هذه ليست نعمة ب (مايكل) ومن الممكن أن تؤذى
نفسك .. »

- « (تشانس) أيضا قد يؤذى . هذا الملف يثبت انه ارتكب خطأ مهنيًا جسيمًا . ما اطلبه هو هدنة لفترة بلا أوامر باعتقالي او تفتيشي . »

- « وماذا تقدم في المقابل ؟ »

- « ألا أضيق الشركة بمحتوى الملف .. »

ابتلع بلقى القهوة ، وقال :

- « لست موهلاً لإجراء صفقات . أستطيع فقط أن أنقل رسالتك هذه . أنت تتوهم ان الشركة تريد الكلاء معك . بالعكس . هم غاضبون جدا ولا يريدون ان تعامل معك »

قلت وأنا أغادر المقهى :

- « هدنة لمدة أسبوع .. »

كانت المرأة انشابة جالسة جوار باب الشركة عندما وصلت هناك صبيحة الأربعاء الحرارة في درجة التجمد .. ما إن رأته حتى وثبت وهتفت :

- « مرحبًا .. هل أنت محام ؟ »

- « نعم .. »

- « لمن هم مثلي ؟ »

- « بالتأكيد »

وفتحت الباب وسمحت لها بالدخول . أعددت قهوة ووجدت بعض (الدونات) في المطبخ فقدمته لها

- « ما اسمك ؟ »

- « (روبي) »

- « وأين تعيشين يا (روبي) ؟ »

- « هنا وهناك »

كانت تنس ثيابا رخيصة .. بين الثلاثين والأربعين مخبولة نوعًا ونحيلة جدًا ..

- « كنت اعيش في مأوى ثم طردت .. وجدت لنفسى سيارة .. »

- « هل عندك سيارة ؟ »

- « لا أقوده . أنا في المقعد الخلفى . »

قدمت لها القهوة ودعوتها إلى المكتب . جلست متحنية على كوب القهوة كأنه آخر شيء دافئ تلمسه في حياتها .. ثم بدأت تقول :

- « أنا ابني (تيرانس) أنه في السادسة عشر .. لقد أخذوه مني .. رجال الملجأ .. »

منذ أعوام كان (تيرانس) في العاشرة ، وكنا يعيشان في شقة صغيرة . قصص عنها سبع المخدرات وسكنت أربعة أشهر ذهب (تيرانس) ليعيش مع أختها . ثم خرجت من السجن ليعيشا في الشارع وينام في السيارات . بشكن ما استطاعت أن تنقيه في المدرسة .. باعت المخدرات وباعت جسدها . فعلت كل شيء لتبقى شبعان وفي ثياب معقولة وفي المدرسة . في لحظة ينس ذهبت لأسرة عملت عندها منذ زمن (رولاند) . قالت أنها ستدفع خمسين دولارا في شهر لو سمحنا لـ (تيرانس) بالحياة عندهما . وافق لزوجا بعد تردد وسمح لها بزيارته ساعة مساء كل يوم . كتبا أنسا طيبين صار ابنها نظيف سليم الجسد وسرور هذا . إلى أن تم اعتقالها بتهمة الدعارة هذه المرة

عندما خرجت كانت حاملا . عندما انحبته أخذت الحكومة الرضيع لأن أمه مدمنة مخدرات . ثم وجدت أن الـ (رولاند) ضدها . (تيرانس) ضدها .. ثم جاءه رجل يحمل أوراق وقال إن المدينة هي التي ستؤني أمر (تيرانس) سوف يتنازل الـ (رولاند) فقد قضى معهما ثلاث سنوات ..

كانت تبكي . أريد أن أراه فقد أفقده جدا . استطاع أن أتصور (تيرانس) بصحة جيدة دفع يتناول الإفطار على المائدة ويسمع دروس الأسبانية بينما عميتى شبه مخونة تعيش في الحميم وعلى أن أسعى لجمعهما من جديد ..

قلت لها :

- « لن قرى (تيرانس) إلى أن تشفى من تأثير المخدرات . يجب أن تذهب إلى مصحة »

شد ما أجهل كل شيء عن المخدرات ' من أين تحصل عليها ؟ كد جرعة ' كد من الوقت تحتاج إلى أن تشفى من عادة قاتلة كهذه ؟

هنا سمعت (صوفيا) تصرخ فى الخارج

خرجت لأرى ما هناك ، فوجدت الملائم (جاسكو)
قد عاد .. هذه المرة كان معه خمسة رجال شرطة (كس
(موردخاي) هك . وهو رجل لا يستطيع أن يحفظ
صوته أو يكف عن الضوضاء . وسمعه يقول .

- « ماذا بحق الجحيم ؟ »

نظر لى (جاسكو) ، وقال فى سخرية

- « لم ترفع علينا قضية كم هددت وكل هذا الكلام
الكبير نحن هنا لنفتش هات الشيء الذى عندك
وسوف نتهى هذا الإزعاج »

قلت :

- « الملف ليس هـ . أنت تضيع وقتك »

- « لكن من واجبنا أن نضيقه »

طلبت من (روبى) أن ترحل . واختليت بـ (موردخاي)
فى مكتبه . كنت محرجا لاسى تسببت فى مجيء الشرطة
إلى هنا .. فسالنى :

- « هل معك نسخة من هذا الملف ؟ لم لا تعطيهم
الأصل ؟ »

- « لا أستطيع . هذا اعتراف منى بالسرقعة . ثم
إنهم يعرفون يقينا أننى نسخته . »

كان الحق يزداد توترا بالخارج . (صوفى) تصرخ
فى رجال الشرطة ، و (جاسكو) يصرخ فيها الأمر
يتجاوز الكناعات ليقترب جدا من حدود الاعتداء الجسدى
رجال الشرطة فى حيرة لأن تفتيش مكتب محمدا يختلف
عن تفتيش بار ملىء بالمسكارى ..

قال (موردخاي) لرجال الشرطة :

- « سنفتق أولا سوف نحثون عن منكم نكتب لن
نفتح أى ملف لأن هذا بعد على سرار العملاء »

وافق (جاسكو) فاحذتهم إلى مكتبى ورحلت أخرج منها
ثلاث من السرح . وأضعه تحت أنف (جاسكو)
فى هذه اللحظة اتجه (موردخاي) للهاتف وأجرى مكالمة
ثم قال لـ (جاسكو) بلهجة انتصار :

- « مكنته كـ هذا هو القاضى الذى أعطاك إذن
التفتيش .. »

سأول (دكتور) سيدة في تردد كي صاحب
مخدوم و تسعى شيلة لم طبت من رحمة تهاء تهنس
سأول نرحس في مخدوم نكلهم رحنوا في سهاية
و اتعتت ن موردي و الصوشت ن كس هذه
الفوضى ، ثم اعتكفت في مكتبى ..

* * *

تسع عشر

قهوة من حديد مع (روس) كانت بنظري عند
الباب و عجت لانها منتعشة بهذا الشكل كيف يكون
المرء منتعش بعد نوم عدة ساعات في المقعد الحفى
لسيارة مهجورة ؟

- « هل ما زال عندك بعض الدونات ؟ »

- « سارى ذلك .. »

نقد صارت عدة و دحت نمطج ك عدد انتهود .
ونم احد سوى بعض نوبات ندى صار صيب لن نم
يكن نمت غير ك نكر نسر نمر بعصه نو حدى
(روس) غدا وكت عرف نها منفع

مألتها :

- « هل (عملت دماغ) ليلة أمس ؟ »

واندهنت لاسى أسس هذه الاسنة وسهده انعه
لكنها هزت رأسها ، وقالت :

- « نعم .. كل ليلة أفعل ذلك .. »

لم يكن فى بيتى أن أومهم ، فأتانا لم فعل بعد أى
شئ يساعدنا ..

أخذتها بسررى الى مركز (دعومى) لنشاء . وهى
بناية من أربعة طوابق فى الشارع العشر . يفتحونه
فى الساعة صباح ويقدم الحمامات والطعام واشياء
للسوة اللاتى لا بيت لهن . عرفت ان (روسى) ممن
يترددن على المركز . وقد رحبت بها صديقتها هات

تكنمت مع المديرة . وهى شاة حذاسة نحيفة تدعى
(ميجان) يجب ان تتخلص (روسى) من المخدرات
قبل أى شئ . نصف النسوة هناك مختلات عفيفا
وأكثرهن مدمنات . ثلث الموجودات مصابات باليدز .
لكن (روسى) على قدر علم المديرة لم تكن مصابة
بمرض معد ..

وعندما رحلت كانت النسوة محتشدات فى المخرج
يغنين بصوت عال ..

فرعت باب ان (يامب) الذى عرفته من دليل
البنك . فجاء صوت امرأة يسأل عن باب . كنت
قد سمعت خضى عدة مرات طيلة الطريق الى (بنيسدا)
لكن لم تقع باتنى أستطيع أن أكون مقنعا ..

قلت :

- « جئت أبحث عن (هكتور بالما) .. »

- « لم تريده ؟ »

- « يا مدين له بعض المال ، اذا كنت ارده له »

لوسى كمت احد المال لصار الحيران عدواسيين
تضيق هذه حية لا بأس به . لكن المرأة قالت

- « لقد رجل من هنا . »

- « عرف أنه رجل . لكن هل تعرفين الى أين ؟ »

- « لا .. »

بد لى أن لاحية هى (نعد) نكها كانت قد غابت
فى ظلال شقتها وصدت الباب . فرعت الجرس
مرتين لكن لا إجابة . درت حول البناية وقرعت جرس

فى الجهة الأخرى ، ففتح لى الباب رجل فى عمرى
لوث (المايونيز) جاتبى فمه وسألنى عما أريد . أنها
الثمنة والظلام قد هبط ، وأنا أصابقه فى وقت
العشاء . كررت قصة (بوب ستيفنس) لكنه قال إنه
لا يعرفه ..

- « وهل زوجتك تعرف زوجته ؟ »

- « لا .. »

استدريت مبتعدا لأشابل رجل أمن يحمل هراوة ، ويسق
بها على راحة يده كما يفعل رجل الشرطة فى
السينما .. سألنى عما أريد ، فقلت له :

- « أبحث عن شخص ما . واعد هذا الشيء على .. »

- « تنقينا شكوى من الجيران بأن هناك متسللا فى
المنطقة .. يجب أن تبتعد .. »

هكذا تركته ورحلت ..

لم أكن متحمسا للعودة إلى شقتى الجديدة . ان
اسمى على أجهزة الكمبيوتر فى مكان ما ، وليس يتحرر

رجل الشرطة بنى أن يجسوا بيتى الجديد . أعرف أنهم
سيشربون غارتهم ليلا ليستمتعوا بأقزاعى . يقودوننى
كسى فى ضوور نموت مكبلا بالأصفاد إلى سيرة
اسورية . ثم يقودوننى إلى المحفر حيث أكون الأبيض
نوحى هك . كيف متريفا . ثم يحدوا ما هو أفضل
من الفاسى فى رنزانة مينة بالسطحية الزنوح ليروا
كيف أرفع عن نفسى بهذا كى أحمل شيين . هاتفا
خنويا اتصل به ب (مورديدى) فور اعتقالى ، وماتنى
- ولا تدفع كفاية . ربما أنجح فى الخروج بدلا من
الميت فى الحز

عدت إلى المكتب وظنبت من (صوفيا) ان تساعدنى
فى العثور على (هكتور بانما) إنه هسبائى مثلها
وعلى لأرحح سوف تعرف كيف تجدد تركتها تجرى
مكتمتها فكبت تبدأ المكثمة بالانجليزية ثم تنتقل إلى
الاسبانية التى تشبه الشجر . تركتها لمدة ساعة ثم
إذا بها تفرع بلبنى لتقول :

- « لقد رجل . انه فى شيكاغو . هل تريد أن أبحث
عن العنوان ؟ »

نظرت لها فى ذهول وقلت :

- « ولكن كيف استطعت أن .. ؟ »

- « لا تسأل صديق يعرف صديقا فى كيبستوم

انه هسبلى ان هو كاتولىكى على الارحج هل تريد
العنوان ؟ أستطيع ان أقودك إلى الطريق نكن الأمر لن
يكون سهلا »

لقد سحبت لمدة ساعة ثم وجدت العنوان . فوشرت
على سمجة رجال الأمن والى على أبواب طينة النيل
فى البرد ..

ان فرع الشركة فى شيكاغو يقع فى - ضحة سحاب
بها مصاعد وبافورات وامكن للتسوق . لقد ذهبت
هناك مرتين ..

انه المكان الأمثل لإحفاء (هكتور باتما) .

عشرون

ندى المشردين إحساس غير عادى برجال الشرطة .
وقد شعر ذلك الرجل بوجود سيارة الشرطة المتخفية
قرب مكتبنا وأحبر (صوفيا) بذلك . أخبرت بدورها
(موردخاي) لم أدر أنا بشيء من ذلك لاسى كنت
منهمكا فى محادثة على الهاتف ..

لما انتهيت قالت لى (صوفيا) :

- « هت سيرة شرطة باتحارج . على الأرجح جاءوا
للظفر بك .. »

وقال (موردخاي) :

- « لابد أنهم حصلوا على أمر اعتقال .. »

تظاهرت بانثت وباتنى غير مهتم . كانت المشككة
هى ان هذه ليلة الجمعة ومعنى هذا انه لا مفر من
قصاء ليلتى فى الحجز . تفنى الأبيض الأبيض مع
الحشة بأى حى حتى لو اتصل (موردخاي) بانقضى
- نى صدر الحكد فى يالى أحد بمشككى هناك ماسا
محام يعقلون كل ليلة ..

فى شقة (كثير) عندما واجهت (جاسكو) كنت أنا المحامى طلق النيران قوى الحجة يقذف التهديدات ويطرح الأسئلة فى وجه (جاسكو) الشرطى المذعور لم أتصور قط أنه سيأتى يوم يعقبنى فيه هذا الرجل لقد دخل المكتب منتصرا حاملاً أوراقه التى ينوى أن يرميها فى وجهي ، وقال لـ (صوفيا) .

- « أريد مستر (بروكس) .. »

خرجت من مكتبى باسمًا ، وقلت :

- « مرحبا (جاسكو) .. أما زلت تبحث عن ذلك الملف ؟ »

- « ليس اليوم ! »

سأله (موردخاي) فى خشونة :

- « أنا محاميه .. فهل معك إذن باعتقالاته ؟ »

- « نعم .. »

مشيت نحوه قائلاً :

- « هيا بنا .. »

أخرج أحد مساعديه زوجًا من الأصفاد وكبل ذراعى لظهرى بالمعدن البارد .. كان القيد ضيقًا أو على الأقل أضيق مما توقعت . قال (موردخاي) :

- « سوف أحضر موكلى بنفسى لمركز الشرطة .. »

- « لا .. نحن متوفر عليك هذه المشقة »

- « إذن سأتابعكم .. »

وخرجنا إلى الردهة حيث كان ثلاثة من عملائنا ينتظرون ، فراحوا ينظرون لى فى ذهول .. كنت أتوق إلى الاختباء فى السيارة بسرعة . هكذا غصت فى المقعد الخفى إلى جوار (جاسكو) وأنا لا أرى ما أمامى ..

قال (جاسكو) :

- « يا لمضيعة الوقت ! هناك مائة جريفة قتل وألف

تجر مخدرات وحادث اعتداء فى كل ناصية ، لكن علينا أن نضيع وقتنا معك »

- « إذن أطلق سراحي .. »

- « لو كان الأمر بيدى نفقت لكن المدعى انعاد يتلقى ضغطا .. »

هذا مفهوم الشركة لا تنوى تضيق وقتها مع رجال الشرطة ، وإنما تدخل فى مناقشة قانونية مع المدعى العام لإقناعه بالنقض . لا يهم (مارتن لوثر كنج) دخل السجن أناس مهمون مشاهير دخلوا السجن وكسوا بالصفاء هناك قصص يفد حكاما بشعرا شافة مودة فى (ممفيس) ممثون وأنتار رياضة قبض عليهم وهم يهرسون الكوكيين أو يخفون المرور

ثمة نوع من الراحة فى هذا لقد تم الأمر أخيرا . لا مريد من الفرار والنظر خلفى لا مزيد من التلقى لكنى برغم هذا خائف قد يتحرر دفع الكفنة الى الابد أو الاثنين ربما أوضع فى زنزانة مع اس قذرين .

حاولت الاسترحاء وهو ما وجنته مستحيلا وأنا جالس على يدى ..

كنت تائها أثناء قيادى ، و (جاسكو) يقاسى ككذب ضل لا تنظر لهؤلاء الناس عممية حرد متاعك النسمات التصوير انيس يزحف و تحريمة تتراد وسوف يكون الحجز مزدحما ..

فى لتهبة افكنى (جاسكو) إلى ممر طويل وقضبان ثم باب حديدى ينغلق خلفى ..

كن زملاء الزنزانة كلهم من السود الأصغر سنا عدت أربعة .. الخامس كان راقدا . كلهم ينظر لى وأنا أبحث عن مكان أجلس فيه بحيث لا ألمس أيا منهم . ولاحظت ان الباب عبارة عن قضبان مما جعل من فى الزنزانة المعقبة يروى بوضوح لم يكن هذا هو الوقت المناسب لى تكون أبيض ..

نهض شاب ومشى نحوى ووقف جوارى ثم ركز قمنى ، وقال :

- « جاكيت جميل ! »

هذه هى النهاية إذن .. لذا قلت :

- « شكرا »

محدولا ألا ابنو سخرأ أو مستقرا إنه رشيق قوى النية يبدو أنه قضى حياته كلها فى شجار الشوارع ، وهو يحاول ان يستعرض شجاعته أمام رفاقه .. لن يظفر بفريسة أكثر سهولة منى مهم حاول .

- « لم ألبس (جاكيت) أتيتُ كهذا فى حياتي »
قال أحد الرجال :

- « الجدع يقول إنك تلبس (جاكيت) جميلاً . »

- « وأنا قلت له شكراً .. هل يريد أن يقترضه ؟ ماذا يريد أن يفعل ؟ »

- « لو أهديته له لكان هذا أنسب .. »

الآن اكتملت دائرة الحصار من حولي ، لذا تزعجت الجاكيت وناولته لهم ..

- « هل هى هدية ؟ »

- « هى ما شئت .. »

كانت ركلة عنيفة تلك التى ضربت رأسى فجعلته يصطدم بالجدار خلفى ، ومن جديد عاد السؤال :

- « هل هى هدية ؟ »

- « نعم .. »

- « شكراً يا رجل .. »

بعد دقائق ظهر آخر ووقف يراقبني .. خفضت عيني فلم أر إلا قدميه العريتين .. ثم قال :

- « حذاء جميل .. »

من دون كلمة مددت يدي ونزعت الحذاء .. ماذا عن النيل إذن ؟ كيف سنام وليس هنا إلا فراشان ؟ ماذا عن استعمال المراض وشرب الماء ؟ ماذا عن قميصي وثيابي الداخلية ؟

فى هذه اللحظة تقننى (مورخاى) الذى أنهى إجراءات الكفالة بسرعة . كفالتى كانت عشرة آلاف دولار دفعت منها ألفا ووقعت الأوراق .. وفى الخارج كانت (صوفيا) بانتظارى ..

- « أين حذاؤك ؟ »

- « أعطيت هدية لأحد المساجين ! »

عاد أحد الحراس لى بسترى وحذاني . وسرعان ما كنا نغادر هذا المكان الرهيب ..

واحد وعشرون

في الصباح كانت صورتي تحتل كل الصحف مع قصة مؤثرة عن المحامي الذي خان الأمانة وسرق مفا من الشركة التي دربه . اعتقد أن الجميع يحفظ وحتى الآن

لم تستطع (روسي) الخلاص من المخدرات برغم إقامتها في ملحاء (ناعومي) . لذا اتفق ذهني عن فكرة لا بأس بها . أخذتها بسيارتي إلى (موتيل) في بلدة صغيرة مجاورة للمدينة وبعت إيجرها وضمن طعامها . ثم تركتها هناك . كانت هذه خطتي التي رتبها مع (ميجان) . تلك المديرية القاتلة لملجأ (ناعومي) .

حتى لو أرادت (روسي) فمن المستحيل أن تحصل على مخدرات في هذا المكان . ولتصنت بها لأطمس عليها فوجنتها لم تغادر غرفتها ، بن ظلت تشهد لتقريون وتكل بلا تقطع

بعد أربع وعشرين ساعة ذهبت لأخذها فوجنتها تركت في ثياب جديدة وقد استجمت . كانت غرفتها في الطابق السفلي فخرجت راضية نحوي واحتضنتني صالحة

« ان لطيفة لم أقم المخدرات منذ أربع وعشرين

ساعة ! »

عدت بها بسيارتي إلى ملحاء (ميجان) .. هناك عقبوا لها احتفالا صغيرا . قالت لي (ميجان) إن أول أربع وعشرين ساعة هي لأصعب وهي التي تستحق التهنئة .. وحسنت مع (ميجان) في الحديقة نشرب القهوة ونخطط ما بعد ذلك . يحب علي (روسي) أن تحضر كذلك حسنت له (١١) التي تساعد المدمنين . لكن (ميجان) لم تكن متفهمة ، لأن تجار المخدرات في كل مكان ولأن تستأجر (روسي) أن تعود لتسرع والنعطى من جديد هذا يحدث كل يوم ..

كنت أتمسكة في اتني ذهب إلى شيفرغو للبحث عن (هكتور بيتا) . هكذا اتفقا على أن تأخذها (ميجان) إلى موتيل آخر على حسمي وتسردها صباح الاثنين . بعدها نخطط ما يحب عمله . ربما أخذناها إلى مركز ناهين تمضي فيه ستة أشهر من العسر والرقصة انطوية .

دعني (ميجان) إلى تناول الغداء في مكتبها كانت عتده . ترقصين كاتما تضبال مسي أن وافق . وقد وافقت ..

يسافر المحامون في (دريك وسويس) بالدرجة الأولى
شاعرين بأنهم يستحقون هذا ، ويقومون في فندق ذات
أربعة نجوم ان العملاء يدفعون كل هذه التكاليف

لكن مقعدي في الطائرة تم حجزه في اخر لحظة
أغلقت عيني لمدة ساعتين وحاولت لا أفكر في الموحرات
الفخور الجائسة في الدرجة الأولى حيث كنت حنس في
الماضي كن سفرى هذا خرف لقاتل بكفنة الذى
يحتم اننى لا أغدر البلدة من دون انى القصص ، لكن
(موردخاي) أكد أن هذا غير خطير .

لا يوجد لدى أى عنوان لـ (ساف) وسوف نأخذ
في شركة (دريك وسويس) هـ فهذا حتى نسيى
فرع (دريك وسويس) في شيكاغو يعمل به ١٠٦
محامين . قسم العقارات يعمل به ١٨ محامياً

ابتعت جريدة أحفى بها وجهى ورحلت أرقب ماخز
المصعد كانت الساعة والنصف صباح اى ان هذا
وقت وصول الموظفين ..

في الثامنة والثلاث لخل (هكتور باث) انبىة مسرع
يهرع إلى المصعد . انه هو بفعل كما توقعت نكته

الشركة إلى هنا في منتصف النيل كي تتمكن من رشوته
ومراقبته وتهديده ..

ركبت المصعد في التاسعة وصعدت إلى حيث قسم
العقارات . وقبل أن تادرني موظفة الاستقبال بالسؤال
عن أريد وضعت يدي على فمى . وسألتها عن الحمام
لانى أشعر بتقيان وموشك على انقىء . هكذا لم
نستطع إلا أن تشير نى الى الحمام وعندما غادرته
كنت قد صرت داخل قسم العقارات فعلاً

وجدت مكتب (هكتور بالما) على الفور . فدخلت
وأعقبته حتى ما إن رأى حتى رفع كفيه كأنه
يواجه مسدساً ، وهتف :

- « ماذا بحق الجحيم ؟ »

- « مرحباً (هكتور) . كيف حل شيكاغو ؟ »

- « ماذا تفعل هنا ؟ »

- « يمكن ان أوجه لك ذات السؤال . نحن سوف نرفع
دعوى قضائية اليوم ضد شركة (ريفر أوكس) لصالح
هؤلاء الذين طردوا من المستودع وهم مستاجرون قاتونا .

أنت كنت تعرف هذا عندما نفذت امر الاخلاء هل تذكر تلك الأم التي قاومت رجال الشرطة ؟ لف وحدوك ميتة متجمدة مع أطفالها فى سيارة فى الشارع بعد ذلك هناك مذكرة كانت فى الملف تثبت هذا وقد تم اترعها الملف عندي لكنى أريد المذكرة .. لو اعطيتنى المذكرة فلن اطلبك تسهنة . وانت تعرف أن الشهادة سوف تعرق شركة (دريك وسوينى) ويأتسالى لابد من طردك ما سأفعله انا هو ان استعمل المذكرة من دون إخبارك فى الموضوع . لن أذكر مصادري .. »

- « ومن قال لك إن المذكرة عندي ؟ »

- « أنا واثق من أنك نسختها لتدافع بها عن نفسك إذا ادلهمت الأمور . أنت ادكى من ألا تفعل »

اعرف يقينا أن (هكتور) لن يكسب لانه من وضع على مكتنى أسماء المطرودين والمفتاحين اعرف هذا إن لديه روحا وضميرا ..

- « إنهم سوف يطرودونى هل تعرف هذا ؟ »

- « على الأرجح سيفعلون .. لكن ستكون لدينا قضية ممتازة نرفعها عليهم . أنا سأقوم بذلك ولن أتقاضى منك مليعا .. »

فكر قليلا ، ثم قال :

- « قابلى عند الظهر أمام نافورة الماء أمام البناية .. »

من النافورة اتجهنا إلى (جراتد أفينيو) حيث مطعم بيوفيه مفتوح .. ونحن فى الطرود ناولتى مطروفا ، وقال :

- « لدى أربعة أطفال .. من فضلك احمنى .. »

وقبل أن أكنم كان قد غادر المطعم . ياقة معطفه تعطى أذنيه وهو يوشك على الركض فارا تقريبا ..

ركبت سيارة أجرة وفتحت المظروف .. هنا حيث لا يعرف مخلوق بمكتنى أن لأرس المذكرة جيدا .. كنت هناك مذكرة من (بلما) موجهة لـ (تشلس) تقول إنه ذهب إلى المستودع يوم ٢٧ يناير ، ومع حارس مسلح اسمه (جيف مائل) من شركة أمن (روك كريك) .. ذهب هناك فى التاسعة والنصف وغادر بعد ثلاث ساعات ..

فى الطابق الثالث وجد حوالى ١١ شقة من الخشب بأبواب من بلاستيك .. سمع بكاء طفل فدق أحد الأبواب لتفتح له امرأة تحمل رضيعاً ومعهما ثلاثة أطفال .. أخبرها إنه جاء ليخلى البناية لأنها بيعت لشركة البريد لكنها أصررت على أنها استأجرت الشقة ممن يدعى (جونى) يأتى يوم ١٥ من كل شهر ليأخذ الإيجار .. لا أوراق .. كل تعاملها مع (جونى) هذا .. لكنها عرضت ورقة متسخة عليها إيصال استلام المبلغ ..

هذه الورقة قام (هكتور) بنسخها وألحقها بالذاكرة . لم يكن يملك الحق فى الاعتراض أو المناقشة ، لكنه أعطى رؤسائه حبلاً طويلاً ليشتقوا به أنفسهم ..

قمت بإرسال فاكس بالذاكرة لـ (مورديخاي) فى حالة ما إذا تم اعتقالى أو سرقة منى هذا المظروف ..

اثنا عشر وعشرون

عندما قابلت (مورديخاي) كن يحمل لى مظروفاً رسمياً أعرف بالاضبط ما فيه .. لقد كان من ثلاث صفحات أعدها أصدقائى الأعزاء فى (دريك وسوينى) لكن يمكن تلخيصها فى فقرة واحدة :

أنا الولد الشرير الذى سرق ملفاً من الشركة .. يجب إما أن : (١) : أنشط من سجل المهنة بشكل دائم أو (٢) : نوقف عن عمل المحاماة عدة أعوام أو (٣) : أؤنب عتلاً ..

استندت إلى جدار شاعرا بالدوار .. الشركة تريد الدم .. هذا واضح .. شركة كبيرة تعمل مثل مثيلاتها بسياسة : (لا أسرى) . لكنهم لا يعرفون أننى سأقاضيهم غداً وأضربهم بعشرة ملايين بسبب الاضرار بـ (آل بيرتون) الذين طردتهم فماتوا فى الشارع . لقد استطاع (مورديخاي) ترتيب القضية عن طريق تعيين من يدعى (ويلما غيلان) - وهى ناشطة فى المجتمع المدنى - لتكون قيماً للمطالبة بالحق المدنى . بما أن الأسرة لا أقارب لها ولا أحد يعرف أب الاطفال الأربعة إن كان لهم أب واحد بالطبع سوف

تتقاضى عشرة بالمائة من التعويض ، وهو مبلغ مضحك
فقد جرت العادة على ٤٠ : لكننا لم نكن نبغى الربح

مررت على الموتيل الذى تقيم فيه (روسى) لاني لم
أعد أستطيع مواصلة الإنفاق عليها بمعدل أربعين دولارا
كل ليلة .. قرعت الباب عدة مرات فلم يرد أحد .. نزلت
للاستقبال فعرفت أن أحدا لم يرها تغدر هذا غريب ..

صعد معى موظف الاستقبال الذى لم يسعده أن نستخدم
فندقه الجميل كمصحة للإقلاع عن المخدرات . قرع الباب
مرارا ثم فتح الباب فلم نجد أحدا ..

أين عساه قد ذهبت ؟ إن المخدرات مغاطيس يشدها
للشارع كل مرة ..

اتصلت بـ (ميجان) أخبرها بهذا ثم عدت لمكتبى .
لست قلقا عليها إنها قادرة على الحياة فى الشارع أكثر
منى . عندى على كل حال أمور أهم هى القضية التى
ننوى رفعها .. لو لم تطرد شركة (ريفر أوكس) تلك الأم
وأطفالها الأربعة لما عاشوا فى الشارع . ويشتكى لما ملقوا

بردا هذا منطق واضح سهر ولا بد أن يحده المحلفون
كنت اتق بدم وأطفالها فى الشارع وسيكون عنك تحمل
التبعات لو حدث لهم مكروه ..

المشكلة هى المنف . سوف نطلب منى الشركة
تقديم منف تقضى . وسوف أشعل وهذا فى حد ذاته
اعتراف بالجريمة .. قد أفقد مهنتى ..

كانت خطة (موردهاى) هى تحايل القضية تماما
لحميتى . يمكن أن يعقد صحا مع (دريك وسوينى)
يتنازل عن سرقة المنف مقابل المنف ذاته وعدم
الإبادة لاسمهم . إن شركة (دريك وسوينى) شركة
عظيمة تكبرياء تعبد على سمعتها الحسنة أعرف
عدة المحامين اكبار هدد . إنهم يشعرون فى قرارة
أنفسهم بأنهم لا يهتمون بحصنات على كل هذه المكاسب
من ثم يكرهون أى شيء يظهرهم قساة أو اشرارا أمام
المجتمع . لكنى كنت مصرا على المضي قدما

أنهى جرائد التقاضى . وكان بانتظارنا صحفي هو
صديق (أراهم) أعطيناه تقريرا وافيا عن موضوع

القضية .. هذه القضية ستروق للجميع وسوف يحاول الجميع الخلاص من المسئولية عن طريق إلقائها على كاهل مجموعة من المحامين الأثرياء .

أنا أفهم مزاج شركتى السابقة وأعرف كيف اجتمعوا على نشر قصة القبض على ، وكيف أهدوا صورتي للصحافة لمزيد من الإهانة لى .. الآن أفعل الشيء ذاته لأسى أفهمهم وأعرف كيف يفكرون .

سوف تصدر صحف الغد وفيها صورة مديري شركتنا بطريقة مهينة . وسوف توجه لهم الاتهامات علناً .. أستطيع أن أتخيل الشركة وقد سادها النجوم والصمت ، فلا بد أن دار مناسبات الموتى أكثر مرحاً من هذا ..

لقد قرروا الهجوم على أوردة عنقى .. دعهم يتعذبون قليلاً إذن ..

ثلاث وعشرون

خرجت مع (ميجان) مديرة الملجأ فى نزهة بالسيارة .. لم نتوقع قط أن نقابل (روبى) ، لكنها كانت فرصة كى نمضى بعض الوقت معاً ..

قالت لى :

- « لقد رأيت كل شيء مع المدمنين .. لا يمكن أن تتوقع أبداً سلوكهم . فقط عندما يظفر أحدهم بعمل ومسكن نحمد الله ثم ننتظر المدمن القالى .. إن الوديان أكثر من الجبال فى هذه الحياة .. »

- « ألا تشعرين بالقتوط ؟ »

- « أتعلم الأمل من زبائنى .. أكثرهن شخصيات قوية . جنن الحياة وحيدات بلا أية فرصة ، لكنهن يستطعن الحياة .. يتعثرن طيلة الوقت لكن يستمررن فى المحاولة .. »

دربنا فى المنطقة وتفحصنا بعض السيارات المحطمة ، ثم إننى أعدتها إلى الملجأ .. لقد صارت (روبى) عذراً طيباً يجعلنى أرى (ميجان) باستمرار ..

كانت التاسعة وعشرين دقيقة عندما وصلت مع محامى ابنى ندية (كارل مولترى) مركز القضاة المدنية والجنائية فى وسط البلد .. لم اكن هناك قط لكن (موردخاى) كان يعرف الطريق ..

دحر المكان كان حديقة حيون . هناك ردهة مليئة بأناس قلفين وقاعات محاكمة فى كل مكان . فى الغرفة ١١٤ سالتطبق الاول كان المحترم (نورمان كزير) القاضى وكان اسمى فى اول (الروول) نحننا فحسنت فى الصف الثانى وكانت القاعة خالية ..

سمعت من خلقى من يقول :

- « مرحباً يا (مايكل) .. »

نظرت للحلف فوجدت زميلى القسيم (رافتر) كن ومن معه يمشون مضحية من ثم كان لهم الحق فى التواجد فى كل مراحل تقسيمى للمحاكمة ! لكن لماذا جاء (رافتر) " انه الأكثر شراسة ودساسة من كل زملائى . ووجوده لابد أن يسبب لى الدعر ..

نادانى (موردخاى) نعرفة القاضى فحققت به . حيث صافحت القاضى ودعانا للحنوس . كن القاضى (كزير)

فى الميعين على أقل تقدير لحية شائبة وعينان بنيان تحرقك عندما يتكلم وكان يعرف محامى منذ اعوام قال لى :

- « أعرف شركتك منذ زمن شركة ممتازة لديها محامون ممتازون ، وهم يدربونهم جيداً ،

كنت أشعر بعدم راحة لكونه يضرب ضحاي لى هذا الحد - « هذه قضية غير معتادة الى درجة مذهلة لكن لغرض انك أخذت هذا العنف ولنفترض انك ردت لى . عندها يمكن ان اقيم ثمة معاتى دوائر وتنتهى الامر كجثة .. »

- « وماذا لو لم ارده » أتحدث لنعم فقط »

- « عندئذ ترداد قيمته بنسبة لنا ، وسوف تكون محاكمة بتهمة السطو لو استطاع المدعى اقناع لمحلفين فسوف يصير من واجبي أن احكم عليك ولو صدر حكم سوف تبقى رخصة محامك »

واردات تحايد جبهته مما جعلنى أدرك ان حكمه على شىء يجبر بى أن أتحاشاه ..

منحنا أسبوعين لاتخاذ قرار وهكذا غادرنا غرفته
لنجلس فى قاعة المحكمة من جديد ..

فى سيارة (موردخاى) ونحن عائدان سألته :

- « والآن أيها المستشار ما رأيك ؟ »

- « ما زال أمامنا أسبوعان .. دعنا لا نتعجل الأمور
ولنفكر بحرص »

فور عودتنا للمكتب ، اتصلت بشركة (برىك وسوينى)
طالباً الكلام مع (تشاتس) .. بالطبع اتصلت اسماً
مستعاراً .. لكن السكرتيرة قالت لى إنه فى إجازة ..
إجازة لا تعرف متى يعود منها ..

كنت أعرف شركتى جيداً .. إجازة لا تعرف موعد
العودة منها يعنى ببساطة أنهم طردوك .. هذا ما حدث
إن .. لقد تصرف (تشاتس) على مسئوليتيه وقام
بإخلاء المستودع ممن فيه ، وهو يعرف يقيناً أنهم
مستأجرون .. لم يخبر الشركة بهذا .. وعندما اتضح
الأمر وجد أنه عاجز عن تفسير موقفه .. لقد جلب
الوبال على الشركة وسبب لها مشكلة وفضيحة مع

عمالها . لو أنه اتخذ الإجراءات القانونية لأعطى
المستأجرين إنذاراً لمدة شهر ، ومعنى مرور شهر
ضياع الصفقة من شركة (ريفر أوكس) .. لكن هذا
فى الوقت ذاته كان يعنى رحيل الشتاء القاسى . كانت
الشوارع ستكون أكثر رفقا بهؤلاء البؤساء ..

يمكننى أن أتخيل القيادات الكبرى فى الشركة ترغى
وتزبد ، وتجتمع لتقرر إعطاء (تشاتس) إجازة
مفتوحة . ربما منحوه مكافأة لا بأس بها لكنهم
تخلصوا منه على كل حال ..

كان عضو الكونجرس جمهورياً من (إنديانا) يدعى
(بيركهولدر) .. وكان يحب الركض ليلاً حول (كابيتول
هول) .. تم إطلاق النار عليه يوم الأربعاء أثناء ركضه
وحيداً .. كان يلبس بزة تدريب بلا جيوب ، فكان جلياً أنه
لا يحمل شيئاً ثميناً .. يبدو أن السرقة لم تكن هدفاً ..

اخترقت الطلقة ذراعه وكتفه وتوقفت قبل العنق
بقليل . وقد وصف أحد الشهود المعتدى بأنه زنجى
أسود من الطراز المتشرد .. نجا عضو الكونجرس بعد

جراحة استغرقت ساعتين ، وكانت هذه أول مرة منذ رجع من ارمين يطلق فيها الرصاص على عضو كونكرس بعضهم تعرض لاعتداء وكان هذا يتيح له الكلام عن الجريمة وتدنى معدلات الأمن ، وبالطبع إنقاء التهمة على الحزب الآخر ..

هكذا خرج رجال الشرطة ينظفون شوارع و شنت من كل شخص بلا بيت كل المتسولين ثم اعتقلهم

في اليوم تلى خرج عضو كونكرس لوجه الصحافة في مشهد مسرعى ثم اخراجه حيناً كان على مقعد متحرك واربطة الشاش تحيط بعقه ، ثم اعثر انه بحير فقط بدأ يتكلم عن الجريمة فى واشطن سوف يكرس حياته من هذه اللحظة لاستعادة الأمن فى الشوارع ..

هكذا سقط عاء مروع على كاهل رجال الشرطة ، الذين واصلوا حملات الاعتقال لئلا .. مع إنقاء المشردين فى السجون أو نقلهم كنمائية الى أماكن أخرى

أربع وعشرون

ظهرت (روبي) ثانية أمام مكتبى صباح الاثنين ، بشهية مفتوحة للقهوة والكعك .. بدأ لى أنها منتعشة وأنه لا أثر للمخدرات على وجهها .. اعتدتها للداحل ..

- « كيف حالك وأين كنت تعيشين ؟ »

- « فى سيارتى .. »

- « نعم . يسرنى أن الشقاء راحل .. سوف أوصلك إلى ملجأ (ناعومى) »

كنت أتمنى أن أسألها عن إقامتها فى الموتيل وسر رحيلها عنه ، لكنى رأيت أن أجاهل هذا أفضل صبت لها القهوة بينما هى تقرض الكعك بلا توقف كأنفار ..

أوصلتها إلى الملجأ وتبادلت بعض كلمات الفزل مع (ميجان) ثم عدت للمكتب حيث بدأ الزحام .

كنت منهمكا فى العمل عندما اقتحمت (صوفيا) الغرفة . بما أن الباب لا ينطق فقد دخلت فى ذات الوقت الذى قرعته فيه . وباتطبع لم تكن تستعمل ألفظ (من فضلك) أو أى شيء آخر .. القم خلف أذنها وعويناتها مرفوعة ، وقالت لى :

- « أين قاعة المطرودين من المستودع ؟ »

ناولتها القائمة . فتفحصتها ثم هتفت :

- « وجدتها رقم ٨ .. (ماركيز ديس) إنه يجلس بالخارج معي ! لقد انتزعوه من حيث كان يمضي ليئته أمام البيت الأبيض بسبب حادث الاعتداء على عضو الكونجرس .. اليوم يوم حظك ! »

خرجت معها لأرى (ماركيز) فوجدته يشبه (مستر) كثيرا .. جريت لأخبر (موردخاي) كي يتولى الأمر بنفسه .

قال (موردخاي) ونحن نقف أمام الرجل :

- « نحن نتولى قضية أناس كانوا يقيمون في مستودع عند تقاطع شارعى (فلوريدا) و (نيويورك) * . »

- « كنت أعيش هناك . قصيت ثلاثة أشهر . »

- « وكنت تدفع الإيجار لرجل يدعى (جونى) ؟ »

- « نعم .. »

(*) كما هو واضح طيبة الرواية . تستعمل السماء التولانت في واشنطن - باعتبارها العاصمة - لكنها أسماء شوارع ..

- « نحن نريد أن نمثك فى قضية طلب تعويض لاننا نرى أن طردك كان غير قانونى .. سوف تحصل على الكثير من المال .. »

عندما انفردت مع (موردخاي) قلت له إن علينا أن نحصل على شهادة هذا الرجل قبل أن يحدث له شيء .. سوف نعد شهادة موقعة تشهد عليها (صوفيا) . سألته إن كان لديه جهاز كسيت فأكد أن لديه واحدا لكنه لا يعرف أين .. معنى هذا أنه سيقضى شهرا فى البحث .. سألته عن كاميرا فيديو فقال : لا ..

- « إذن سأحضر الكاميرا الخاصة بى . فقط أبقه هنا وسأعود خلال ٥ دقائق ! »

- « لن يذهب لأى مكان .. »

هرعت أركض فى الشارع واتصلت بـ (كنير) طالبا اقتراض كاميرا الفيديو . قلت لى إنها فى الصالة حيث تركتها . إنها لم تغير الخلف . هذا أشعرنى بشيء من السهجة .. بوسعى أن أدخل وأخرج متى أردت ..

هكذا أجلس (ماركيز) فى مكتب داخلي . وبدأت التصوير على حين استجوبه (موردخاي) . كان يعرف

مكان اثنين آخرين من المطرودين ، وقد قررنا أن نقيم دعوى منفصلة لكل منهم ..

عندما اتصرف (ماركيز) دق جرس الهاتف . سمعت من يسأل عن (موردخاي) .. سأنته من هو قات :
- « آرثر جاكوبس من (دريك وسويني) ! »

كاد قلبي يتوقف لكنى طلبت منه الانتظار وهرعت إلى مكتب (موردخاي) لأخبره أن (آرثر جاكوبس) أهم رأس فى شركتى السابقة على الهاتف ..

دارت المكالمة .. وعرفت أنهم يريدون لقاء (موردخاي) فى الشركة غدا من أجل تسوية .. لم يطلبوا لقائى وكنت أتوقع هذا . عندما انتهت المكالمة سأنته عما إذا كان يعتقد أنهم خائفون ..

قال باسمنا :

- « طبعا خائفون .. نحن لم نبدأ على الإطلاق وهاهم أولاء يطلبون تسوية .. إن الأمور تحسن .. »

خمس وعشرون

فيما بعد حكى لى (موردخاي) تفاصيل اللقاء الذى لم يحضره سوى (آرثر) و (رافتر) ومحامى شركة (ريفر أوكس) .. فى البدء لم يصدق أن (آرثر) فى الثماتين ، فهو لا ينسى شيئا وكل التفاصيل فى ذهنه . قدموا قهوة ممتازة مع الكعك ، وكنموه عن تسوية لأن اشركة تضايقت من الحملة الصحفية عليها أوضحوا أن (تشاتس) كذب على الشركة وتصرف بشكل منفرد لهذا عوقب بالطرد .. لم يستقل لكنه طرد .

سألهم (موردخاي) عما إذا كانوا رأوا المذكرة التى لم يضعها فى المنف فذت عندهم الدهشة .. أخرج من حقيبته صورة المذكرة التى تثبت أن الأم الميته كانت تدفع الإيجار .. قال إن قضيته واضحة وسوف يفهمها المحلفون جيدا ، خاصة أنه سيحرص على انتقاء محلفين من السود كي يتعاطفوا مع المطرودين

عرضوا عليه دفع خمسمائة دولار لكل متوف .. لكنه قل إن هذا لا يكاد يقارب المبلغ المطلوب .. لن

يرضيه إلا دفع مليون دولار لكل متوف . وهذا يعنى خمسة ملايين .

بالنسبة لى عرضت الشركة تسوية موضوع سرقة الملف . لكن بشرط أن يتم وقفى عن العمل عامين كاملين كنوع من العقاب الواضح ..

طبعاً لم يكن هذا وارداً بالنسبة لى .. طلبوا كذلك ألا يتسرب شيء آخر إلى الصحف ، فقال لهم (موردخاى) إنهم من بدأ عمليات التسريب هذه .. لقد أبغوا الصحف بكل شيء عن اعتقالى وسرقة الملف . وهذا يجعلنا متساويين ..

جلست فى غرفتى بعد رحيل الجميع أتأمل الجدار وأفكر . لو أننى سلمت الملف لقبلت الشركة التسوية وعاد كل شيء إلى موضعه الصحيح .. أعرف كم هم بكرهونى .. بالنسبة لهم أنا (يهوذا) الذى سرق معلومات تخصصهم وهو يعمل معهم ثم راح يهددهم بها ..

دخل (موردخاى) فالتقى بنفسه على مقعد من المقاعد التى لبتعتها من (سوق البراغيث) * بستة دولارات ، وقل :

(*) تعبير علمى عن سوق الأشياء المستعملة ..

- « القاضى (دى أوريو) يريد أن تلتقى كل الأطراف فى محكمته غداً من أجل مناقشة قضيتك ضد الشركة .. أنا .. أنت .. هم .. هل تعرفه ؟ »

- « لا أذكر الاسم .. »

- « هو رجل صارم شريف وعصبى ويجب أن يصرح فى المحامين .. إنه يريد تسوية القضية بسرعة لأنه يريد أن يكون (رول) قضاياه خالياً .. كل قض يحب هذا لأنه يعطيه وقتاً أكثر للعب الجولف .. إنه يريد أن تكون هناك غداً . تجلس فى مقعد المحلفين .. وأن تجلب معك الملف .. »

- « بالتأكيد .. »

- « لا صحافة . لا عدسات . إنه يكره هذه الأمور فى محكمته .. بوسعه أن يفتق الملف لو تضايق منك .. على فكرة .. سيكون ذلك انقواء (جانترى) الذى كان يملك المستودع هناك .. وهو شخص غير مريح .. بلطجى حقيقى وأعتقد أنه متضايق من أنك أقيمت فى القصة .. »

- « هل يعرف أنه سيجتاز جهاز كشف عن السلاح على باب المحكمة ؟ »

- « غالباً .. »

- « وما هو الصواب لأفعله يا (موردخاى) ؟ لقد فقدت الرؤية الصائبة »

- « أنت أخذت الملف من أجل عمل خير لم تنو سرقته . عمل شريف هو لكنه ما زال سرقة . الأمر ما زال فى يدنا . يمكن أن أتصل بـ (ارثر) أقول له أن يسقط كل الاتهامات مقابل أن نسقط كل الاتهامات من جانبنا . هذه قطعة كعك تنقى له .. وهذه القضية لن تحدث أى فارق معي . الأسرة ماتت فعلا لا اقارب لهم ينتفعون بالتعويض .. باختصار لا لزوم للقضية أصلاً .. »

- « الصحافة متمزقة لحمنا . »

- « وهل تعتقد ان هؤلاء شوساء الذين يأتون لنا يبالغون لحظة بما تقول الصحافة ؟ »
قلت له :

- « وماذا أكون قد حققت من كل هذا ؟ هم ينجون بفعلتهم ، برغم أنهم تسبوا فى قتل أسرة . وكل هذا كى أحفظ برخصة ممارسة المهنة ؟ »

كنت أعرف أنه ينبغي معى دور محامى الشيطان ويقول ما لا يؤمن به . هو لا يريد من هذه القضية مالا .. كل ما يريد هو محكمة صخبة تسبظ عليها الأضواء ويذكر الناس حقوق هؤلاء المشردين . ليست المحكمة قصاص فى كل الأحوال .. أحيانا هى منابر وعظ ..

ست وعشرون

كانت قاعة محاكمة (دى أوريو) فى التطبيق الثانى من بناية (كارل مولترى) إنها قريبة من قاعة القاصى (كيزي) التى تناقش فيها قضية الشركة ضدى .. عملية معقدة جداً ..

لم نتأخر عن الموعد لكنى صممت ألا ندخل القاعة قبل الوقت حتى لا أواجه نظرات (رافتر) و (آرثر) و (جانتري) الذى لا أتمنى أن أنفرد معه فى مكان واحد ..

اتخذت مقعدى وسط مقاعد المحلفين ، بينما جلس (مورديخاى) فى مقعد الادعاء . وجلس محامو الشركة ومنهم ثلاثة من رهائن (مستر) - إلى جوار (جانتري) واثنين من محاميه . كنت أتوقع أن هذا الأخير باعتباره قواداً يلبس الكثير من الخواتم وثياباً مزركشة ، لكنه كان يلبس بدلة أنيقة وبدا أكثر أناقة من المحامين .. وكان هناك اثنان من محامى شركة (ريفر أوكس) ..

ثلاثة من رهائن (مستر) هنا .. فماذا حدث لى ؟ كلهم احتفظوا بعقولهم بينما جننت أنا .. لماذا لعبت دور الأخت للهشة ؟

فى الواحدة بالضبط دخل القاضى واتخذ مقعده .. قال لنا :

- « مساء الخير .. »

ثم أصلح من وضع الميكروفون وطلب من مستر (بيرديك) أن يغلق الباب .. مستر بيرديك هذا هو حارس أمن . ثم قال :

- « عرفت من سكرتيرتى أن كل الأطراف هنا .. »

ونظر لى كأتى مجرد سفاح نساء آخر .

- « ليكن واضحاً أنه لن ينقل للصحافة أى حرف يقر فى هذه الجلسة .. هل هذا مفهوم ؟ »

نظر لى الجميع ، فكدت أقف لأذكرهم أنتى وإن كنت من وجه أعنف ضربة فبتهم هم من وجه اللكمة الأولى عندما نشروا صورتى فى الصحف .. هنا مرت موظفة

لتجعتنى أوقع على إقرار بعدم كشف أسرار هذه الجلسة ..
وقعت بينما رجال (دريك وسوينى) يراجعون فقرات
إقرارهم بحثا عن ثغرات ما .. هكذا تدربنا جميعا

دعا القضى (موردخاى) للكلام خلال خمس دقائق ..
نهض هذا ويداه فى جيبه وبلا مذكرات ، وراح يتكلم ..
منتهى الثقة والشعور بالراحة ..

بعد هذا نهض (آرثر) يدافع عن شركته فأقر منذ
البدائية بأن عملية الإخلاء كانت خطأ . لكنه اتهم
العاصفة واتهم أم الأطفال ذاتها بأنه كن بوسعها
أن تبين فى أى ملجأ أو تذهب لتعيش عند أمها
بشكل ما هى مسئولة عما حدث لها وأطفالها . هذه
آخر مرة يستطيع فيها أن يوجه اتهامه لأم ميتة .
لأنه فى المرة القادمة سيكون هناك محققون لئون
بشريتهم مختلف وعندها لن يجسر أى محام فى
العالم على اتهام أم زنجية ميتة بالمسئولية عن موتها
هذا ..

نهض (موردخاى) وقال :

- « ليس بوسع هؤلاء القوم الحصول على مسكن
بسهولة يا سيدى ، لذا نطلق عليهم مشردين . أنتم
طردتموهم للشارع وهناك ماتوا .. هذه هى الحقائق ..
سيكون من دواعى سرورى مناقشتها مع المحلفين ..
والأهم أننا سنرفع قضايا أخرى من أجل كل من تم
طردهم من المستودع .. »

بالطبع ارتجف (آرثر) لفكرة أن ينطلق (موردخاى)
طنيفا فى قاعة المحكمة أمام محلفين لهم لئون بشريته ..
كن برعا ولو كان الأمر بيدى لاعطيته شيكا على
بياض ..

طلب منى النقاضى أن أناوله الملف ، فأخرجته
(موردخاى) من حقيبته وناولته للنقاضى الذى راح يقلب
صفحاته ثم سأل (آرثر) :

- « لقد عاد منكم .. فهل أنتم راغبون فى
التسوية ؟ »

- « نو استقررنا على باقى النقاط فنحن راغبون فى
ذلك سعادتكم .. »

- « وماذا عن مستر (بروك) ؟ »

بالطبع أرغب فى ذلك ..

سألنى القاضى :

- « هل تعتبر نفسك مسئولاً عن سرقة الملف ؟ »

لم أكن قد أعددت ما أقول لكنى وقفت وقلت :

- « مستر (جاكوبس) .. كنت أحترمك بشدة ومازلت ..

لقد أخطأت عندما أخذت الملف وقد تمنيت ألف مرة لو لم

أفعل .. كنت أبحث عن معلومات اعتقدت أنكم تخفونها ،

لكن لا عذر لى ، وإننى لأعتذر لك والشركة وعميلك .. »

وجلست دون أن أرفع عينى .. فيما بعد قال لى

(موردخاى) إن هذا الاعتراف المتواضع قد رفع درجة

حرارة القاعة بضع درجات بعدما بلغت درجة

التجمد ..

هنا طلب القاضى أن يتحدث على انفراد مع كل منا ،

وطلب أن أقابله فى غرفته أنا و(موردخاى) .. ثم قابل

(آرثر) .. بعد هذا استدعانا لقاعة المحاكمة ، وقال :

- « آخر ما توصلنا إليه هو أن شركة (دريك وسوينى)

ستدفع ثلاثة ملايين مع وقف المستر (بروك) عن

ممارسة المهنة لمدة عام .. »

صاح (موردخاى) وهو يحمل حقيبته :

- « إنن نحن نضيع وقتنا .. إننى أطلب الإن بالانصراف

سعادتك .. »

قال القاضى فى ضيق :

- « إننك معك .. »

هكذا غادر (موردخاى) القاعة وأنا معه .

سبع وعشرون

كنت فى سيارتى أستعد للرحيل .. لكن من جديد استدعانا القاضى لقاعة المحاكمة عن طريق هاتفى الخلوى ، فضحك (موردخاى) وهرعنا إلى قاعة المحاكمة حيث كانت الجلسة مستمرة .. قال القاضى عندما رأنا :

« نحن نقترّب من تسوية .. »

خطر لى أن محامى شركة (ريفر أوكس) قررا التدخل .. ربما بالاشتراك فى المبلغ المدفوع كتعويض .. لا أعرف بالضبط ما دار بعد رحيلنا لكن مناورة (موردخاى) كانت ناجحة بالتأكيد ..

ما تم الاتفاق عليه هو خمسة ملايين دولار كتعويض مقسطة .. وبما أن الأسرة هلكت فإن المحكمة ستراقب جوانب اتفاق هذا المبلغ ، أما بالنسبة لى فقد تم الاتفاق على وقفى عن العمل مدة تسعة أشهر ..

كانت السكرتيرة قد كتبت الاتفاق فى صفحة واحدة ومررته علينا ليوقع كل منا عليه ..

كان مبلغ الخمسمائة ألف دولار التى نالها مكتبنا فى هذه الصفقة واعدًا بحق .. نحتاج إلى أجهزة هاتف وكمبيوتر .. دعك من أن (موردخاى) سيودع باقى المبلغ فى المصرف لتكفى أرباحه لسداد رواتبنا ، لكن الأمر ما زال يحتاج إلى جهد كبير .. لقد هلكت الأسرة فلا بد من أن نجد أبا الأطفال .. فإن كان قد هلك علينا أن نجد ورثته ..

على أننى فوجئت ذات صباح بـ (آرثر) وقد جاء إلى مكتبنا وجلس على المقعد الرخيص إياه .. قال لى إن شركته استعادت لياقتها وعادت لتحصيل المال ، لكنه ما زال عاجزًا عن النوم .. إنه يقترب من الثماتين وفكرة ذلك الخطأ الذى ارتكبه موظف عنده وتسبب فى موت أشخاص كثيرين لا يفارق تفكيره ..

« إننى أدنو من القبر .. لكن ضميرى ليس مستريحًا على الإطلاق .. »

إن (آرثر) من جيل قديم من المحامين .. ذاك الجيل الذى اعتبر ممارسة الأخلاق جزءًا من المحاماة .. وما فعله معى كان جزءًا من هذا المبدأ ..

افكرحت عليه الحل التالى .. سوف ينتدب لنا محاميا واحدا من محاميه الاثرياء كل اسبوع ليعمل فى قضايا المشردين .. وعلى هذا المحامى أن يحل قضية مشرد واحد فقط فى هذا الاسبوع .. إن لديه ثمانمائة محام فلن يؤثر هذا على مجرى العمل ، وأنا غير قادر على ممارسة المحاماة لمدة تسعة أشهر .. إذن هذا حل عادل يزيح العباء عن كاهله ويوفر لـ (موردخاى) من يسد نقص المحامين عنده ..

راقت له الفكرة ووعد بأن يبدأ تنفيذها ..

- « سوف نحتاج إلى كاتب محام بارع .. وأنا أرشح (هكتور بالما) »

بدأ أنه لم يسمع الاسم قط ، فقلت :

- « إنه مساعد (تشانس) الذى نقاه إلى (شيكاغو) كي لا يكون شاهداً خطراً .. لقد نقل فى منتصف الليل وأعتقد أن حياته كلها هنا فى واشنطن .. لابد من إعادته إلى هنا »

- « فهمت .. »

فى هذا الوقت كانت (روبى) قد نجحت فى قضاء أسبوعين من دون مخدرات ، وبدأ أنها قادرة على الامتناع نهائياً .. ارتدت ثياباً نظيفة وبدأت حياتها تتغير .

وكانت علاقتى تتوطد بـ (ميجان) مديرة الملجأ وبدأ واضحاً أننا سنتزوج عما قريب ..

شد ما تغيرت حياتى فى شهرين !

منذ شهرين كنت أعمل فى شركة (دريك وسوينى) وكنت متزوجاً من امرأة أخرى ، وكانت لى طموحات أخرى تماماً .. اليوم تبدلت حياتى بالكامل ..

لا داعى للكلام عن المستقبل .. فالماضى ما زال يحدث !!

جون جريشام



61

محامي الشوارع

في حياة كل منا لحظة بعينها ينقلب فيها كل شيء ، وتذكر أن
ما كنت تقاتل من أجله لا قيمة له .. وكانت هذه اللحظة في
انتظار (مايكل بروك) عندما تعرض للاحتجاز هو وثمانية من
رفاقه في شركة حمامة كبرى .. قبلها كان محاميا شابا طموحا ،
وبعدها صار محامي شوارع مشغولا بالذين لا بيت لهم .. قبلها
كان رؤساؤه يضخرون به ويعتبرونه حصانهم الرابع ، وبعدها
صاروا ألد أعدائه ..

العدد القادم

قاعدة المرايا (روجر زيلاني)



المكتبة
العربية
للحفظ والتحسين

التميز في النشر
وبأبعاد بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم